ناتالي ١٠

روايات وقصص عاطفية



أشواك المرأة



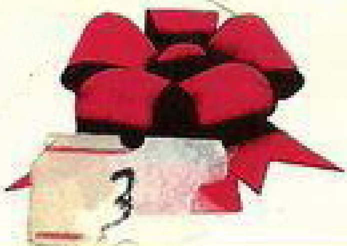
مرمورية



رومانسيات

NATALIE ROMANCE





سلاسل سوڤنير الجميلة

Souvenir beautiful series

رومانسيات ناتالي Natalie Romance

الناشر:



دار الراتب - سوڤنير

سلسلة حديثة لأروع القصص والروايات العاطفية، باسلوب شيق وأحداث ومغامرات مثيرة... للشباب.

- العاصفة في قلبها
- دوامة الذكريات
- المطاردة العنيفة
- الغريب الغامض
- الحالمة أبداً
- حب في الأدغال
- هل يعود الحب
- الأرملة العاشقة
- آدم وحواء
- أشواك المرأة
- الخيانة الزوجية
- الحب وقيوده
- حب أم واجب
- لا تتركني أبداً (الوجه الآخر)
- لا وقت للحب
- رقم الحظ

تطلب من:

بيروت: وكالة المطبوعات اللبنانية
القاهرة: هلابوك شوب
عمان: مكتبة الراتب العلمية بالأردن
دبي: مكتبة دار الناهل
أبو ظبي: مكتبة الجامعة
الشارقة: مكتبة دار الآداب
مسقط: دار الأسرة - سلطنة عُمان
الدار البيضاء: دار الآفاق الجديدة
سوريا: المؤسسة السورية لتوزيع المطبوعات
الكويت: وكالة المطبوعات
قطر: مكتبة المعارف

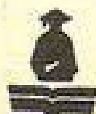
رومانسيات نـاتـالي

NATALIE ROMANCE

أشواك المرأة

المؤلفة

ستيفاني تايلور



سلاسل سوفنير

الملخص

هل أحب برناردو بريغادينو شقيقتها حقاً؟ أم إنه لعب بها لعبة قاسية كالتي يحاول أن يلعبها الآن معها؟

لن تعرف أبداً أنني سأكتب تحقيقاً صحفياً عنك. . فأنا سوف أعرضك وأكشفك على حقيقتك أيها الوغد! وهذا لن يفيد صورتك الطيبة أمام الناس!

حسناً يا صديقي الخالي القلب! أعدك! لو استطعت أن أطعن بك دون ذكر اسم إليزابيت، ودون أن أعرض إسمي المهني للخطر. . . فسأفعل!

وهل هناك طريقة أفضل من هذه للانتقام لشقيقتي؟

من المفترض أن يكون القلم أشد فتكاً من السيف!

الفصل الأول

«بإمكاني قتله لما فعله بك!».

ونظرت أليكسي إلى وجه شقيقتها المتورم من البكاء، وعيناها الحمراوان وأحست بالمرارة تتعاظم في داخلها، فتابعت:

ـ هذا الرجل وحش! كيف فعل بك هذا يا ليز، وفي منتصف فترة التصوير؟

منذ ساعات فقط كانت اليزابيت تصور فيلماً في موقع «الوادي الشمالي» وفي قصر «بريغادينو» جنوبي المقاطعات الشمالية التي تحوي على أكبر مزارع الكرمة في اسبانيا، وكان دورها هو الدور الرئيسي! وبسبب ما فعله معها برناردو بريغادينو، أدارت ظهرها للفرصة الكبيرة لأن تكوّن أسماً لنفسها، وهربت من «شاتو بريغادينو» قبل أن ينتهي التصوير، ولم يسمح لها الجرح العاطفي بالبقاء يوماً آخر، ولا ساعة أخرى. وهذا ما يظهر تماماً كم سبب لها برناردو بريغادينو من جراح عميقة. . والرجل يستحق الضرب بالسياط!

ـ سوف يستبدلونني للدور بأخرى، أعلم هذا! سيتدمر مستقبلي! ولن يثق بي أحد في صناعة السينما! ولكن اليكسي. . لم أستطع البقاء، لم أستطع! ليس بعد الطريقة التي. .

ـ أوه ليز. . لن يستبدلوك.

ومسحت على رأس شقيقتها، محاولة إخفاء شكوكها. أنها لا تعرف

شيئاً عن صناعة السينما، فكيف لها أن تعرف كيف سيتصرف المخرج؟

ـ انظري. . حال أن تشعري بتحسن، إتصلي بهم، وأنا واثقة أنك ستسوي الأمر. وعندها يمكنك العودة. . .

ـ لن أعود. . أبداً! لن أستطيع مواجهة برناردو ثانية. ليس بعد ما فعله معي. . وبالنسبة. . بالنسبة للعاهرة الرخيصة التي ضبطه معها. . لن أستطيع رؤية وجهها الساخر كل يوم. . لن أستطيع!

وتمتمت أليكسي:

ـ كلاهما يجب أن يجلد، هدئي نفسك قليلاً، أرجوك يا ليز. إنهما لا يستحقان كل هذا.

ـ بالتأكيد هي لا تستاهل. لماذا تظنين إنها تعطي دائماً دور «المرأة الأخرى»؟ لأن هذا الدور يلائمها بشكل طبيعي، تلك العاهرة ساندي يورك. . ولكن برناردو. . . ظننته مختلفاً. . والآن أعرف أنه كان يدعي حبي. . . يتظاهر إنه يريد الزواج مني. . إنه لم يعن كلمة واحدة مما كان يقوله! ما كان يجب علي أن أتورط معه! ولكن يا أليكسي إنه. . . جذاب! لم أقابل من قبل رجلاً له مثل جاذبيته! إنه أكثر رجل مثير على قيد الحياة. . كان يفترض أن أتزوجه غداً. . . !

وطرفت عينا أليكسي دهشة.

ـ وهل كنت ستفعلي؟

لطالما أقسمت اليزابيت أن الزواج لا يناسبها. . فهو سوف يجمد لها مستقبلها المهني. . وهي تريد أن تصبح نجمة متألقة كبيرة. . . وأرادت السفر إلى هوليوود، ولن تستطيع هذا مع زوج متعلق بأذيالها.

ورفعت اليزابيت وجهها الملطخ بالدموع، وقالت:

ـ برناردو بريغادينو ليس رجلاً عادياً يا أليكسي. إنه يعلو قيمة عن أي

رجل آخر التقيته من قبل. ولقد أحببته يا أليكسي وظننت أنه أحبني. . لقد حطم. . قلبي!

وأحنت رأسها وأخذت الدموع تهز كل جسدها. وقطبت شقيقتها بقلق.

ـ ليز. . عليك أن تنامي قليلاً.

لقد وصلت ليز عند الفطار تماماً، في أول طائرة قادمة من الشمال. ومن الواضح أنها بقيت مستيقظة طوال الليل، وتابعت أليكسي:

ـ وبينما تنامين، سأتصل بالمخرج لأشرح. . .

وارتفع رأس ليز بقوة:

ـ لا. . ! لا يجب أن يعرف أحد ما حدث. . حقاً. . . لن أتحمل هذا. فقد أموت تخجلاً! ولن تتفسي بكلمة. . عديني يا أليكسي!

وأمسكت بذراع شقيقتها:

ـ ما كان يجب أن آتي إليك!

وربتت أليكسي على رأسها بنعومة:

ـ بالطبع كان عليك أن تأتي إلي يا ليز. ولماذا نحن شقيقتان؟

بسبب الظروف، واختلاف الاهتمامات، لم تكونا قريبتان بشكل خاص. . . ولكن في أوقات الأزمات، وخاصة في السنوات الأخيرة. اعتادت اليزابيت أن تقصد أليكسي طلباً للراحة. وكان أليكسي دائماً هناك، مستعدة لأن تلملم شتات نفس شقيقتها.

ـ لن أخبر أحداً يا ليز، أعدك. انظري. . أعلم أن الأمر يبدو لك وكأنه نهاية العالم. . ولكن ما أن تخلدي إلى النوم، فأنا واثقة أنك ستشعرين بشكل أفضل، وتتمكني من أقناع المخرج بشيء. ماذا قلتي له قبل أن تغادري؟

ـ لا شيء! كنت أكثر تكدراً من أن أتكلم مع أي كان. لقد تركت رسالة تقول أنني مريضة وأحتاج للعودة إلى بلدي. ماذا سيظنون بي يا ترى؟ هل سيظنون أنني مدمنة مخدرات أو شيء من هذا؟ ولكنني واثقة إنهم لن ينتظروني، فهم ملتزمون بجدول زمني محدد. . . والوقت يعني المال بلغة الأعمال. . . وسوف يستغنون عني ويجدون بديلة عني. . . أعلم أنهم سيفعلون هذا!

ـ اوه يا ليز، لن يفعلوا هذا، ألم تقولي إنه بقي يومان أو ثلاثة من التصوير في «شاتو بريغادينو»؟ لن يلغوا كل ذلك العمل الذي قمتي به من أجل يومين. . !

وتنهدت اليزابيت بحسرة:

ـ أنت لا تعرفين شيئاً عن هذه الصناعة يا أليكسي، إنهم قادرون على أي شيء.

وربتت أليكسي على خدها بأصبعها وكأنها تذكرت شيئاً:

ـ لقد قلت أنك كتبت لهم بأنك ذاهبة إلى بلدك. . وبلدك هي لندن وليس هنا في اسكتلندة. وسيحاولون الاتصال بك هناك إذا أرادوا عودتك. هل هناك أحد في المنزل أتصل به لأقول له أين أنت؟

فصاحت ليز مرتجفة:

ـ لا اريد أن يعرف أحد أين أنا! لهذا جئت إلى هنا! أنا مضطربة جداً ولن أستطيع التحدث إلى أحد. ألا تفهمين بأنني لست في حالة. . . ؟

ـ اوكي. . . اوكي. . أهدأي. . لن أخبر أحداً. والآن يا ليز أرجوك حاولي أن ترتاحي. . . وستبدو الأمور مختلفة بعد أن تنامي قليلاً.

وأخذت اليزابيت تعوّل قائلة:

ـ لن أتغلب على هذا يا أليكسي أبداً! أحس وكأن دنياي كلها قد انهارت، برناردو. . مستقبلي المهني. . . و. . وكأن هذا لا يكفي. .

ـ وهل هناك المزيد؟

ـ لقد أضعت الماسة من الخاتم الذي أعطتني إياه أمي عندما. . . عندما تزوجت والدك يا أليكسي.

كانت اليزابيت تشير إلى زوج أمها دائماً بقولها «والدك» فهي لم تتفق معه أبداً، فهو. . الصلب العنيد لم يستطع أبداً التوافق مع طبيعتها العاصفة أو مزاجها المتقلب الثائر. وفي سن الثالثة عشرة تركت ليز منزل والدتها لتعيش مع والدها الحقيقي، الرجل الفاسق، المثير، العاطل عن العمل دوماً والذي طلقته أمها منذ سنوات بعيدة. ولكنها لم تنجح معه أيضاً، وهكذا تركت المنزل، وهذه المرة بحثاً وراء مستقبل في التمثيل لطالما حلمت به. وكان يمكن أن يحصل لها أي شيء، ولكن، بأعجوبة، وبطريقة ما حصلت على دور في مسلسل تلفزيوني. وهزت أليكسي راسها يائسة، فأختها غير الشقيقة لم تكن أبداً لتفعل شيئاً لا يكتمل!

ـ وهل أضعت الماستك أيضاً؟

ـ لا بد. . لا بد أنها وقعت ليلة أمس عندما. . عندما كنت مع برناردو. . . في قبو قصره أتفرج على مخزونه من الشراب. . . وقبلني. . . ثم رجعت إلى غرفتي لأنام دون أن أنتبه أن الماسة قد وقعت. . . . ولم أستطع النوم!. . . وأخيراً ذهبت إلى غرفته. . . وهناك وجدته في الفراش مع. . مع تلك الحقيرة!

ـ وهكذا لم تتح لك فرصة العودة إلى القبو للبحث عنها؟ ليز. . . ألا يمكن أن أتصل. . ؟

ـ لا. . ! لا تتدخلي أليكسي! لا أحد يعرف عنك شيئاً، ولا يعرف أحد ان لي شقيقة! أنت ملاذي يا أليكسي، أنت من أجيء إليه عندما أحتاج أن أهرب من العالم، حيث لا يجدني أحد. . لقد خسرت الألماسة وانتهى

الأمر.. وخسرت معها كل شيء.. كل ما بنيته حتى الآن!

ولم تكن أليكسي تكره أي إنسان أو أي شيء، وبالتأكيد لا يمكن ان تفكر بالأنتقام... ولكنها في تلك اللحظات أقسمت لو أنها وجدت أية طريقة للأنتقام من برناردو بريغادينو لما فعله مع شقيقتها، فسوف تتمسك بالفرصة بكلتا يديها، وتتمتع بلحظة الأنتقام!

★ ★ ★

حدقت أليكسي بذهول في وجه رب عملها، أوسكار بـاربن، رئيس تحرير صحيفة «الدايلي نيوز» التي تصدر في باريس باللغـة الأنكليزيـة، ورددت غير مصدقة:

ـ تريدني أن أكتب تحقيقاً عن من؟

ـ عن برناردو بريغادينو وعن «شاتو بريغادينو» وصناعة الكرمة هناك... هيا أليكسي.. لا بد أنـك سمعت عنه.. إنـه ثري.. جميـل الطلعـة، أعزب.. ويمتلك جاذبيـة تُعد الأفضـل، كما يمكن لأي إمـرأة أن تقول لك. ولديه سلطة ونفوذ أيضاً، إذ له أصبع في العديد من الصناعات عدا الكرمة... مطاعم... جياد في السبـاق، والله يعلم ما غيـره... إنه صعب المراس.. وحتى الآن لم تتمكن منه أية إمرأة. وهـذا يجعل منـه أشهر عازب في أوروبا. وأنت يا عـزيزتي أليكسي، محظوظة لأختيـارك لهذا التحقيق عنه.

وأحست أليكسي أنها على وشك الأغماء.. وفكرت: لا.. لا يمكن، لا أستطيع! لن أفعل! ليس مع برناردو بريغادينـو! مع إنـه قد مضى الآن شهران على ذلك السبت الرهيب عندما جاءت شقيقتها وهي شبه مصـابة بالهستيريا، فلم تنس أليكسي بعد الكراهية المريرة تجاه الرجل الذي آلم وأذل إليزابيث. مع أن مستقبل إليزابيث أنقذ، ولا فضل في هذا لبرناردو بـريغاديـنو! فبعد أن أخفت نفسهـا ثلاثـة أيام بليـاليها في بؤس وشقـاء،

تمكنت من لملمـة نفسهـا لتعـود إلى لنـدن وتـرمي نفسهـا تحت رحمـة المخرج الذي كان قد عاد من شمالي اسبانيا.. وفي اليوم التالي اتصلت بأليكسي لتقول لها أنها ستكمل تصوير ما تبقى من الفيلم في الأستديو في لندن.

وكان أوسكار لا يزال يرمق أليكسي بطرف عينه:

ـ ماذا بك أليكسي؟. هل أنت قلقة من أن لا تتمكني من النجاح في هذه المهمة؟

وتمسكت بهذه الحجة:

ـ أنا لا أعرف شيئاً حول صناعة الكرمة... لا بد أن هناك غيري...

ـ لا حاجة لك أن تعرفي شيئاً.. الرجل هو من يهتم به جمهورنا. وهذه فرصة كبيرة لك.. وكل شيء أصبح محضراً الآن.

ـ وماذا تعني «محضر»؟ ومن... قام بالتحضيرات؟

ـ كل شيء حضَّره الرجل الكبير.. الريس.. توماس بورنيل بنفسه!

وفغـرت أليكسي فمهـا.. تـومـاس بـونيـل؟... قـطب الصحافـة العالمي.. صاحب جريدة «الدايلي نيوز» العالمية! إنه رجل يقضي كـل أوقاته في الخارج، وزياراته القليلة لمكاتب الجريدة تعتبر وكأنها زيارات ملكية.

ـ ولكن.. ولكن.. السيـد بـورنيـل لا يتـدخـل في الأمـور اليـوميـة للجريدة.

ـ ولكنه فعل هذه المرة.. وأفضل تعبير أستخدم نفوذه كي يحصل على فرصة لنا. ولقد أعجبه التحقيق الذي كتبتيه لمجلتنا الأسبوعية يا أليكسي والذي أسميتيه «أسبـوع في حياة أمـادو تيناريـرو» فلقد جعلت من حياة أسبـوع عادي لثري من ملوك البحر شيء غيـر عادي... ولقـد أعجب السيد بونيل بالمقال وبالصور التي رافقته. ويريدك أن تتبعيه بتحقيق عن

«أسبوع في حياة «برناردو بريغادينو».

وتملك أليكسي الرعب.. أسبوع؟ أبداً! لن تمضي ساعة برفقة ذلك الرجل! وقالت محاولة التخلص:

- إنه.. لن يوافق.. أعني إذا كان يبقى مشغولاً على الدوام.. فلن يحب أن يلاحقه أحد وهو يحمل كاميرا طوال أسبوع!.. أعني... ألن يكون هذا تقييد لنمط حياته؟

واتسعت البسمة على وجه أوسكار:

- ولكنه وافق يا عزيزتي.. ولقد دبر السيد بورنيل الترتيبات معه بنفسه. لقد قلت لك هذا.

وعضت على شفتها. لو أنها أخبرت أوسكار عن شعورها نحو ذلك الرجل، ولماذا، فلن يصر على أن تقوم بالعمل! فسوف يرى أنها متحيزة ضده. وهذا قد يدمغ تحقيقها بلون معين...

ولكن كيف يمكن أن تشرح له الأمر دون أن تذكر شقيقتها في الموضوع؟ وهي التي كتمت أمر وجودها عن الجميع. ولطالما كانت شخصاً متزمتاً لنفسه، وتكره أي تدخل في حياتها الشخصية..

- ما كنت أعتقد أبداً أن برناردو بريغادينو بحاجة إلى أية دعاية.

- قد تدهشين لهذا. ولكن هناك منافسة حادة في صناعة الكرمة في اسبانيا.. أضف إلى ذلك أن هناك اهتماماً جماهيرياً «بشاتو بريغادينو» بسبب ذلك الفيلم الذي سيعرض قريباً.. تعرفينه.. لقد تم تصويره مؤخراً هناك أسمه «زارع الكرمة».

- اوه أجل.. أعرفه.

- الناس يتساءلون عن ذلك القصر وكروم العنب التي تحيط به.. وعن برناردو ريغادينو بالذات. وهذا هو الوقت المناسب لكتابة تحقيق يا

أليكسي.. ومن الواضح أن بريغادينو موافق.

- ومتى تريدني أن أبدأ؟

- الأسبوع القادم. لقد أعاد بريغادينو ترتيب مواعيده كي لا يكون مسافراً خلال ذلك الأسبوع. كما أنه لا يحب الأبتعاد عن الأملاك وقت القطاف.

- هل يعرف من سيقوم بالتحقيق؟ أعني.. إنه قد يعتقد بأنني لست مشهورة كفاية...

- لقد عرض عليه السيد بورنيل المقال عن «أمادو تيناريرو» وقال عنها أنها مقالة رائعة. في الواقع إنه وافق بعد أن علم أن أليكسندرا بوردوم هي التي ستكتب التحقيق.

أليكسندرا بوردوم هو الأسم المهني الذي تستخدمه كي تبعد أسمها المعروف أليكسي بوردو عن الدعاية، ولتعطي نفسها نوعاً من الأبتعاد عن الشهرة.

- أريد أن يعرفني بريغادينو باسمي المهني فقط.

إنها لن تحب أبداً أن يناديها أليكسي مثلما يفعل أصدقاءها.. فبعد الطريقة التي عامل بها شقيقتها، يجب أن لا يعرف أنها من ستكتب ذلك التحقيق عنه.. فربما تكون اليزابيت قد ذكرتها أمامه باسمها المعروف.. عندها لن يريدها أن تقترب منه!

لا.. لن ترغب بي يا بريغادينو! لأنني سوف أعرضك للأهانة وأكشفك على حقيقتك أيها الوغد! وهذا لن يفيد صورتك الطيبة أمام الناس بشيء!

حسناً يا صديقي الخالي من القلب أعدك.. لو أستطعت أن أطعن بك دون ذكر أسم شقيقتي، ودون أن أعرض سلامة مهنتي للخطر. فسأفعل.. وهل هناك أفضل من هذه الطريقة لأثأر لشقيقتي؟ على كل،

يفترض أن يكون القلم أقوى فتكاً من السيف!

★ ★ ★

أدارت مقود سيارتها الحمراء السبور عبر بوابات «شاتو بريغادينو» الضخمة، وقد أدهشها أنها وجدت المكان بسهولة. فهي لم تزر أسبانيا من قبل، ناهيك عن هذه المقاطعات الشمالية الريفية الجبلية. وكانت قد توقعت أن تضيع الطريق في بعض الأمكنة، إلا أن الخريطة التي تزودت بها من مكتب السفر سهلت لها الوصول. حتى أنها وصلت أبكر مما تصورت.

«قطعة من الجنة في وسط وديان أسبانيا» ذلك كان الوصف الذي كتب في دليل السائح. . إنه تماماً مثلما وصفته اليزابيت وكان يمكن أن تدعوه «بمنزلها». . إلا أن ذلك لن يتحقق.

وأوقفت سيارتها داخل الأبواب حيث استلفت نظرها روعة الألوان. . مساكب الورود وكأنها غابات، المئات منها، مصفوفة على طول حافتي الطريق الداخلية. . هل هي صدفة وجود العديد العديد منها هنا؟ أم أن ذلك تطبيق لأسم المنطقة التي يقع فيها هذا القصر. . باروسا. . أي وادي الورد. . وأنزلت زجاج نافذتها لتتنشق عطرها الأخاذ. . .

على سفوح التلال المحيطة بالقصر كان يموج بحر أخضر من الكرمة. . أغصانها تنوء تحت ثقل العناقيد الناضجة. واستطاعت أن ترى القطّافين بقمصانهم الزاهية الألوان وقبعاتهم القش، وفي آخر الوادي، وخلف أشجار الكرمة هناك بحيرة هادئة يلمع فيها الماء الأزرق تحت شمس ما بعد الظهر مباشرة. ويحيط بها بساتين أشجار الزيتون، ويخفي جدران المعصر وسقوفها الحديدية أشجار الرد الباسقة التي تلوح مع نسمات الريح. ويحيط بكل هذا تلال مرتفعة تتصل قممها بالزرقة اللامتناهية للسماء الصافية.

مكان هادىء جميل. . لا عجب أن تم اختياره لتصوير الفيلم. ولا عجب أن تكون شقيقتها أحبت المكان. . أم أنها أحبت الرجل فقط. ؟ برناردو بريغادينو؟

وتقدمت اليكسي بالسيارة إلى الأمام، وهي ترفرف عينيها من جراء شمس شمالي أسبانيا الحارة. خلف جدران معصرة العنب، شاهدت من بعيد حجارة «الشاتو» الشاحبة. . قلب هذا المكان. . ومنزل برناردو بريغادينو. . الرجل الذي حضرت هنا كي تكتب عنه، ولتصوره، لتتبعه كظله طوال أسبوع. . . برناردو بريغادينو: إذا كنت تظن أنني سأنتج عنك قطعة فنية متألقة. . فأنت مخطىء كثيراً!

ووصلت إلى نهاية الطريق الطويلة، فأوقفت سيارتها في مكان فسيح مستدير حيث عدد من السيارات يلمع تحت أشعة الشمس، ولافتة ضخمة مكتوب عليها: «لسيارات الزوار فقط. . لا سيارات خارج هذه النقطة» فهل تعتبر هي يا ترى زائرة؟. . ليس بالضبط قطعاً. . فهي ستبقى هنا لمدة أسبوع لتعمل. . لا لتشتري العنب ومشتقاته.

واقفلت السيارة وأبقت كاميراتها وحقائبها في الداخل. ثم اتجهت نحو «الشاتو» لتلقي نظرة. . لا يزال أمامها وقت طويل قبل موعد لقاءها مع برناردو بريغادينو. وقت يكفي لتستقر في غرفتها وتغير ثيابها.

القصر نفسه كان له تأثير أنيق كما لأي قصر أسباني بنى في العصور الوسطى، بسقفه المنحني، وبروجه المدببة السقف.

ـ هل تبحثين عن أحد؟

وأحست برعدة، بعدما شاهدت ظل رجل يقف خلفها يحجب عنها الشمس، مع أنها لم تر أحداً، ولم تسمع وقع خطوات. وهي تستدير أحست بقلبها يخفق. فهناك شيء ما حول الرجل الذي وقف هناك. . وفكرت على الفور بكلمة «الجاذبية» التي قالتها اليزابيت، مما جعلها

تعرف إنها وجهاً لوجه مع برناردو بريغاديتو نفسه. فهل جاء هذا الأنطباع من وجود الرجل الجسدي، أم من رجولته البارزة؟أم أن ذلك نابع من الرجل نفسه؟

ملامح وجهه كانت في الظل، والشمس تضرب مؤخرة شعره الأسود، تضيء خصلات كستنائية قاتمة كانت تتحرك مع نسمات الهواء. وهناك عجرفة وكبرياء في ارتفاع رأسه، وقوة في خطوط فكه، قوة في كل جزء من جسده. كان يرتدي سروالاً أسود وقميصاً أبيض مفتوح الياقة يكشف عن بشرته السمراء، وأكمامه مرفوعة، تكشف عن عضلات ساعده السمراء.

ـ حسناً؟ من نظرتي إليك. أنت هنا لطلب عمل وليس لشراء العنب.

ـ أنا هنا لأجل العمل. نعم. ولكن..

ـ دعيني أنظر إلى يديك.

ـ أستميحك عذراً؟

ومدت يديها إليه فأمسك بهما، ومرر أصابعه الطويلة فوق راحتيهما البيضاء، مرسلاً رعشة منهما تصاعدت عبر ذراعيها. ثم قلبهما، وبنفس النعومة لاحق الشرايين الناعمة التي تتمدد عبر ظهرهما الناعم الرقيق.

ـ كم هما ناعمتان حريريتا الملمس. ليس فيهما لطخة. إنهما ليستا يداً عاملة.

وارتفعت عيناها إليه، والعبوس في جبينها. يدا عاملة؟ هو لا يعتقد بالتأكيد أنها...؟

وحاولت سحب يديها منه، ولكن لتحس بقبضة أصابعه عليهما. وحاولت أن تبقى مشاعرها ثابتة، وأن لا تفكر مطلقاً بما تفعله لمسته بها، بل تفكر عوضاً عن ذلك بما فعله لأليزابيت.

ورفع رأسه، عيناه تسعيان وراء عينيها. وأدركت أنها ترفرف بعينيها، فالشمس كانت تواجهها تماماً. ونظرت بسرعة إلى الجانب، وحدقت في بساتين الكرمة، متظاهرة إنها مهتمة بالقطافين الذين يتحركون بين عرائش العنب...

هذا الرجل يعرف مدى سحره على النساء. وواضح إنه يتلاعب بهذه السلطة... وحتى اليزابيت التي لها سحرها الفاتن الخاص لم تستطع مقاومته... هل أحب برناردو بريغاديتو شقيقتها حقاً؟ أم إنه كان يلعب بها لعبة قاسية... يبالطريقة التي يحاول الآن أن يلعبها معها... وهي شقيقة اليزابيت؟

الفصل الثاني

وجدت أليكسي القوة الكافية لسحب يدها منه أخيراً، وشدتهما بقبضة على الفور لمنع ارتجافهما. ووجدت صعوبة في الكلام. توقع أن تكشف عن نفسها بأنها اليكسندرا بودروم جعل حنجرتها تجف. وأخذت تفكر بالتخلي عن مؤامرتها الصغيرة لتخبر برناردو الحقيقة.. وأنها أليكسي بوردو شقيقة اليزابيت برايس. ولكنها تعرف بأنها ستكون مجنونة لو فعلت، كما أن أوسكار سيغضب لأنها لم تقل له الحقيقة قبل أن تقبل بالمهمة. وبذلك ستخسر فرصتها بالتعريض ببرناردو بريغاديتو، هذا افتراضاً بأنها ستجد طريقة لتفعل هذا دون أن ينقلب الأمر إلى هجوم شخصي. واستدارت عن مواجهة الشمس ثم قالت:

ـ أرجوك دعني أشرح لك من أنا.

وهذا كل ما استطاعت أن تقوله، فقد مد يده إلى ذقنها، وأدار وجهها نحوه. والتقطت أنفاسها عندما نظرت إليه، إلى عينيه الخضراء خضرة الكروم، ومحاطتين بخط ذهبي حول البؤبؤ، وفي ضوء الشمس كانت تشع كالزمرد. وقال لها:

ـ ماذا تظنين أن شمس وادينا القاسية ستفعل بوجهك؟

ـ لن أعمل في الشمس.. كما أعرف تماماً. ومع ذلك فلو اضطررت يمكن أن أستعير قبعة.

ـ ماذا تعنين.. بأنك لن تعملي في الشمس؟ كل القطافين عندنا يعملون في الشمس.

ـ أنا الصحافية من جريدة «دايلي نيوز».

وابتعدت يده عن وجهها، مع أنها تركت أثر دغدغة من لمسته..

ـ أنت.. اوه اللعنة!

ـ أنت برناردو بريغاديتو.. أليس كذلك؟

ـ إذن أنت أليكسندرا بوردوم... لماذا لم تقولي هذا منذ البداية؟

ـ لم تترك لي الفرصة!

وتذكرت كيف كان يقاطعها كلما حاولت الكلام، كيف أمسك بيديها، بوجهها، يفرض إرادته على من يعتقد أنها ضعيفة، إحدى النساء اللواتي يطلبن العمل كقاطفات عنب عنده! وتمتم دون أن يعتذر:

ـ لا عجب أنك بدوت مختلفة عن القاطفات العاديات.. مع أنني لا أستطيع القول أنك تشبهين فكرتي عن الصحفيات! حسناً آنسة بوردوم...

ـ أليكسندرا.

ـ أليكسندرا. كنت أتوقع شخصاً أكبر منك سناً.

ماذا يقصد بهذا؟ هل كان يتوقع إمرأة أكثر خبرة، إمرأة تقاربه في العمر مثلاً... إنه في أواسط الثلاثين دون شك بينما هي بالكاد في الثالثة والعشرين. هل كان يتوقع إمرأة يستطيع أن يلعب معها تلك الألاعيب التي يحبها مع النساء؟ إمرأة يستطيع أن يمرح معها لأسبوع وهما معاً.

حسناً يا برناردو بريغاديتو.. لا حاجة لأن تقلق، رغم أنني أبدو لك شابة صغيرة، فأنت آخر رجل في الأرض يمكن أن أرغب في التورط معه. وقالت له ببرود:

ـ علمت أنك مهتم بعملي سيد بريغاديتو.. فما دخل سني بالموضوع؟

- موظفيّ عادة ينادونني «برنـاردو» وبإمكـانك ذلـك أنت أيضاً. فنحن مجموعة لا نتعامل بالرسميات هنا.. منظمون.. ولكن غير رسميون.

وأجبرت نفسها على التلفظ بالأسم الكريه:

- برناردو. أعتذر لأنني لست ارتدى ما هو ملائم أكثر. كنت أنوي تغيير ملابسي قبل أن أعرفك على نفسي.

- إستعملي حريتك في ارتداء ما تشائين. إذهبي الآن ونظفي نفسـك وغيـري ملابسـك حسب إرادتـك. كيـف وصلتي إلى هنـا؟ وأين هي حقائبك؟

- لقـد أتيت من المطار بسيارة أستأجرتها الصحيفة لي. تركتها في موقف «الضيوف».

- وهل قدتي السيارة لوحدك من مدريد إلى هنا؟

- أجل. ظننت أن من الأسهل علي أن يكون معي سيارة...

- ولكنك لن تحتاجي إليها.

ونظرت إليه بريبة.. رجل مثله لا بد إنه سيحتاج إلى أوقات يكون فيها لوحده، لا أن ترافقه صحافية طوال الوقت؟ لو إنه كان يفكر باصطحابها معه فلا بد إنه أشد فسقاً مما كانت تظنه!

- تبدين خائفة. وكأنك تخططين لهروب سريع!

قـال هذا ممازحاً، ولكن في صوته تلميح شرير جعلها ترفع رأسها بحدة:

- وهل من يأتي من النساء إلى شاتو بريغادينو يحتجن غالباً إلى الهرب بسرعة؟

وشاهدت عيناه تضيقان، وومض فيهما شرر أخافها.

- كنت أمزح فقط. أين تريدني أن أضع سيارتي؟

وكان رده مقتضباً:

- جيئي بها إلى أمام المنزل. سأرسل أحداً كي يوقفها في أحد الكراجات.

وعندما كانت على وشك التحرك أضاف:

- عندما تحضرين حقائبك سأرسل أنيتا، مدبرة منزلي لتدلك على غرفتك.. بإمكانك أخذ غرفة الضيوف التي تستخدمها مارلين أحياناً.

- مارلين؟

- إنها سكرتيرتي الخاصة. وهي تعيش في بلدة قريبة وتتنقل يومياً في العادة، ولكنها أحياناً تأخذ دور المضيفة في حفلاتي الرسمية ونضطر للبقاء هنا ليلاً!

تبقى.. ليلاً.. تلعب دور المضيفة.. وماذا بعد أجبرها بأن تفعل له؟ وتابع كلامه.

- ربما تفعلين الشيء نفسه لو وجدّ طارىء خلال الأسبوع واحتجت إلى مضيفة.

وعضت على شهقة رعب... يكفيها أن تكتب عن هذا الرجل، ولكن أن تأخذ دور مضيفته.. هذا كثير! وقال لها:

- الفكرة لم ترق لك؟ وهل تظنين أن لعب دور المضيفة خارج عن نطاق عملك؟ أم.. يمكن أن تكوني قلقة من أن لا تحسني التصرف؟

- إذا بدوت مترددة فلأنني لا أريد من الناس أن يأخذوا فكرة سيئة عني.. لا أريدهم أن يظنوا...

- لا تريدينهم أن يظنوا أنك مجرد واحدة من نساء برناردو بريغادينو؟

- إذن أنت تعترف أنك زير نساء؟

وعلى الفور تحولت عينا الخضراء إلى قطة ثلج:

ـ آه.. لديك إذن أفكار مسبقة عني. أليس كذلك أليكسندرا بوردوم؟

وحاولت عكس هذا لموقف:

ـ لقد قلت بنفسك...

وقاطعها:

ـ أنا أعلم أن لدي سمعة معينة بالنسبة للنساء. فالرجال في مثل مركزي هم عادة هدف للأقاويل والغمزات.. وأنا لا أقول أنني أعيش كالراهب.. ولكن وإن يكن الأمر هكذا؟ أنا رجل حر يا أليكسندرا... ولا أسبب الأذية لأحد.

لا!.. مجرد نساء تخلصت منهن بعد أن سئمتهن! مجرد نساء خدعتهن ليعتقدن إنك أحببتهن وتريد الزواج منهن... كي تحصل على ما تريد منهن... أنت لا تعني كلمة واحدة مما تقول!

ـ أكتبي عني كما ترينني يا أليكسندرا، ليس كما يراني الآخرون.

ـ أعتبر نفسي صاحبة مهنة يا سيد بريغادينو. وأؤكد لك أن ما سأكتبه في مقالي وما سأنشره من صور عنك، سيكون الحقيقة.. كما أراها.

وأدركت أن عليها أن تكون حذرة معه في المستقبل في إظهار مشاعرها. فهو لن يسمح لها أن تكتب عنه لو اكتشف سرها. ولو حدث هذا فلن تتاح لها فرصة فضح حقيقته... واستدارت قائلة:

ـ سأحضر سيارتي.

وبعد أن أوقفت السيارة أمام الدرجات الموصلة إلى باب الشاتو، كان برناردو ينتظرها مع رجل مسن، يرتدي «الأوفراول» وقبعة.. وقدمهما باختصار:

ـ أنريكو بيغليو.. ألكسندرا بوردوم. أنريكو سيأخذ سيارتك بعد أن

تخرجي حقائبك منها.

ـ لدي حقيبة واحدة وكاميرا.

وتقدم برناردو ليمسك عنها حقيبتها فسارعت للقول:

ـ أستطيع حملها بنفسي.

ولم يرد عليها بل حمل عنها الحقيبة. ومرت أمام بركة لها نافورة قرب الدرجات الأمامية للمنزل، وكان لصوت الماء تأثير ملطف على أعصاب أليكسي وهي تتبع برناردو على الدرجات العريضة نحو باب خشبي كبير ذو درفتين. وعندما رن الجرس ظهرت إمرأة في ثوب رمادي جميل.. ونظرت إلى أليكسي نظرة فاحصة جعلتها تتمنى لو أنها لم ترتد الجينز.

ـ أليكسندرا.. أعرّفك بأنيتا.. أنيتا هذه أليكسندرا بوردوم، الصحفية من جريدة «دايلي نيوز» في باريس. أنيتا ستوصلك إلى غرفتك.. وعندما تنهين ترتيب ثيابك وتغيري ملابسك.. إنزلي إلى مكتبي.. إلا إذا كنت تعبة وتفضلين الراحة؟

ـ لا.. أنا بخير!

ـ إذن ستدلك أنيتا أين مكتبي.. ما رأيك أنيتا بتحضير بعض إنسان بينما تحضّر أليكسندر أنفسها؟ سأكون حاضراً فور أن أتحدث مع إيفون.

ومن هي إيفون؟ واختفى من أمامها ثم سمعت صوت أنيتا!

ـ غرف النوم في الطابق العلوي.

وقالت أليكسي في جهد لكسب ود مديرة المنزل:

ـ إنه منزل جميل.

فالعاملون المقيمون عادة في المنازل هم منجم للمعلومات، إذا نجحت في إقناعها بالكلام. وهزت أنيتا كتفيها:

ـ قسم من الشاتو هي للنوم والباقي مكاتب. وهناك أقبية خاصة تحته.

أقبية برناردو بريغادينو الخاصة.. حيث أضاعت اليزابيت ماستها...

يجب أن تفتش عنها وهي هنا، فهي تعني الكثير لشقيقتها.

ـ المعصرة ومكان البيع في مبنى منفصل. أعتقد أن أحداً سوف يريك المكان في وقت قادم. إذن أنت هنا لتكتبي عن السيد بريغادينو..؟

ـ الناس مهتمون به. وبكرومه ومصنعه. وخاصة بعد ذلك الفيلم الذي صوّر هنا. أظن أن ذلك سبب عملاً إضافياً لك.. هل أقام الجميع هنا في القصر؟.

ـ ليس الجميع، النجوم فقط والمخرج والباقي جاء بمقطورات وعاشوا فيها.

وتنفست أليكسي بعمق وقالت:

ـ أنا من المعجبات باليزابيت برايس.. إنها ممثلة رائعة.. وجميلة جداً..! أنا مندهشة لماذا لم تختطفها هوليود بعد.

ـ إنها جميلة فعلاً. ولكن شعرها أسود بقدر ما أنت شقراء. وعندما تطلق العنان لعينيها السوداء تحصل على ما تريد. أو تظن أن ذلك باستطاعتها.

ـ ماذا تعنين؟

هل ستفتح أنيتا ملف علاقة اليزابيت الغرامية مع برناردو؟ وما رأيها بالطريقة التي عامل بها مخدومها المرأة التي جعلها تحبه وتريد الزواج منه؟ أم أنها معتادة على الطريقة التي يعامل بها مخدومها النساء والأكاذيب التي يقولها لهن؟

ـ لست أعني شيئاً..

وتنهدت أليكسي، وقررت أن لا تتابع السؤال وخاصة عن ساندي يورك الآن. وحاولت للمرة الأخيرة أن تجر مدبرة المنزل للكلام:

ـ هناك إشاعات بأن الآنسة برايس والسيد بريغادينو...

وتركت ما تبقى معلقاً حتى لا تجفل أنيتا.. وساد صمت قصير قالت أنيتا بعده:

ـ لقد انتهى هذا الأمر.

ـ اوه.. هذا مؤسف. آه.. لقد فهمت إنهما كانا يفكران بالزواج.

ـ ومن أين سمعتي هذا؟ إنه كلام هراء!

وتبعت أنيتا وهي تقول لنفسها: لقد وضعت قدمك على أول الطريق، ويجب أن تبتعدي قبل أن تقرر أنيتا أن تردد هذا الحديث أمام برناردو، فيتساءل كيف عرفت. فقالت لتغير الموضوع.

ـ وهل والدا السيد بريغادينو مقيمان هنا؟

ـ كان السيد بريغادينو الكبير هنا.. ومات السنة الماضية.

ـ ألا زالت والدته حية؟

ـ أنت تسألين أسئلة كثيرة.. كنت أعتقد أنك هنا للكتابة عن السيد بريغادينو.

وأدركت أليكسي غلطتها.. ولو لم تكن حذره لجعلت أنيتا ترتاب بها.. فحاولت الشرح:

ـ أنا أضيف عادة بعض المعلومات العائلية على مقالاتي.. لا بأس يا أنيتا.. بإمكاني سؤال السيد بريغادينو.

ـ بإمكانك أن تجربي.

وأدخلت أليكسي إلى غرفة مرتفعة السقف مضاءة بأشعة الشمس المتسّربة من النافذة. وكانت أليكسي لا تزال متحيرة من الملاحظة التي قالتها أنيتا، حتى بعد أن غادرت الغرفة وبدأت أليكسي بإخراج ملابسها من الحقيبة. وتفحصت الغرفة.. إنها غرفة رائعة لصحافية! فيها أثاث أثري حقيقي، قطع بورسلان أثرية متقنة، ستائر من القماش المطرز الثقيل زهري اللون، مع مفرش سرير يماثلها. والسرير من الخشب الرائع

المنقوش ذو أربع قوائم عالية، وفيه فراش مزدوج. . لا شك أن كل غرف ضيوف برناردو بريغادينو، بما فيها تلك التي كانت تشغلها اليزابيت، فيها سرائر مزدوجة.

وضاقت عينا أليكسي: كم أن هذا مكان مناسب لألتهام فرائسه من النساء!

حسناً. . إنه لن يتمكن من افتراسي. . . وضحكت لنفسها من هذه الفكرة. فرجال مثله لا يضيعون وقتهم في ملاحقة صحافية صغيرة ساذجة مثلها.

على كل من غير المحتمل أن يحاول، ويخاطر بأن ينتشر الأمر أمام الناس في أكثر من نصف أوروبا! وهذا ما يجعلها سالمة والحمدلله! حسناً يا برناردو بريغادينو! سوف أكتشف بالضبط أي نوع من الرجال أنت حقاً، وبإمكانك أن تطمئن: لن أكون محتشمة أبداً في قول الحقيقة عنك في مقالي. . أعدك بهذا!

الفصل الثالث

أوصلت أنيتا أليكسي إلى باب مكتب برناردو. . فقرعت أليكسي الباب ودفعته، ولكنها توقفت عندما سمعته يقول:

ـ ولكنني بحاجة إليك يا حبيبة قلبي. .

وأدركت إنه يتحدث على الهاتف، فحاولت التراجع، ولكنه أشار إليها بالدخول وهو لا يزال يتحدث:

ـ لنتحدث عن هذا وقت العشاء. . أؤكد لك باميلا حبيبتي. . . أنوي أن أكون مقنعاً.

وأعاد برناردو السماعة إلى مكانها وأجال عيناه بإعجاب فوق فستانها الأزرق الفاتح كلون الثلج، يلاحظ كيف أن التنورة تنسدل من خصرها الأهيف لتكشف عن ساقين رائعين مذهلين، وقدمين جميلين في حذا منخفض الكعب:

ـ هم م. هكذا أفضل.

على الأقل ليس هناك خوف من أن يظهر له أي تشابه عائلي بينها وبين اليزابيت. فلشقيقتها شعر أسود، وجمال يشابه جمال والدها بينما هي لها شعر أمهما الأشقر المالس وعيناها الرماديتان الهادئتان حتى صوتيهما يختلفان، فاليزابيت قد دربت نفسها ليكون إنكليزياً صرفاً خالياً من أية لكنة بينما أليكسي لا زالت تحتفظ بشيء من لكنة أمها الفرنسية.

ووقف برناردو من كرسيه وتقدم ليجذب لها كرسياً:

ـ ستعود أنيتا بعد قليل بالشاي. ألن تجلسي؟

ـ شكراً لك.

ـ لا يبدو عليك وكأنك كنت تقودين السيارة طوال اليوم. تبدو عليك نضارة زهرة الربيع، فاتنة.

وحاولت أن تخفي امتعاضها ولكن الأمر صعب. كم إمرأة عاشرها منذ أن تخلى عن اليزابيث؟ وتابع كلامه:

ـ لك وجه معبر ومثير يا اليكسندرا.

وجفلت، فقد مد يده ليلمس خدها بأصابعه، التي كان لها تأثير الحديد الساخن لملامستها بشرتها. وبقدر ما أرادت أن تقفز وتهرب.. وبقدر ما أرادت أن تعيدب عواطفه له بقسوة.. أجبرت نفسها على أن تبقى ساكنة، حتى أنها استطاعت أن ترسم إبتسامة على وجهها. وقال:

ـ أعتقد أنك تشعرين بالفضول حول موقع العمل هنا. المكتب الرئيسي في الطابق الأرضي. وله مخرج خلفي خاص، وهذا ما يجعله منفصل عن قسم السكن الخاص. والموظفون يداومون ستة أيام في الأسبوع، ولكهم يعيشون في الجوار. مارلين، سكرتيرتي، تمضي نصف وقتها في المكاتب ونصفه الآخر هنا، تعمل في الغرفة المجاورة لمكتبي الخاص.

ونظرت إليه أليكسي ببرود وارتياب: وعندما لا تكون مشغولة، تنهمك بنشاط إضافي مع رئيسها دون شك...

ـ آه.. هذه أنيتا قد أحضرت الشاي.

ووضعت أنيتا الصينية على الطاولة الصغيرة. وهما يحتسيان الشاي ويأكلان بعض البسكويت الطازج سألها برناردو.

ـ هل تعرفين شيئاً عن زراعه وصناعة الكرمة؟

ـ زرت مزرعة أو إثنتين.

ـ وما هي.. وأين؟

ـ لا أذكر. كان هذا منذ زمن بعيد...

ـ لا تذكرين؟ أية صحافية أنت لأجل السماء؟

ـ لم.. تكن زيارتي للعمل بل مجرد زيارة خاصة في نهاية الأسبوع لمزرعتي عنب في بوردو.. وزيارة أخرى لمزرعة في صقلية عندما كنت في رحلة مدرسية منذ زمن الدراسة، وهذه أول زيارة لي لأسبانيا ولأي مزارع كرمة في شمالي اسبانيا.

ـ وهل تنسين دائماً الأماكن التي تزورينها؟

ـ أنا لا أنسى أي شيء يتعلق بعملي، وبإمكانك الأطمئنان إلى أن كل ما سأكتبه عنك وعن مزرعتك سيكون دقيقاً وبالتفصيل.

ـ لا لزوم لان يكون مفصلاً جداً، وإذا كنت تنوين البحث وأنت هنا فيجب أن يرافقك شخص ما. فلا أريدك أن تتجولي لوحدك. هل تفهمين هذا؟

ـ طبعاً..

ـ أنظري.. ربما من الأفضل أن تعلمي.. لم أكن متحمساً لهذه الفكرة أصلاً. وأنا أرى الأمر وكأنه تطفل.

ـ إذن لماذا...؟

ـ لقد أجبرني توماس بورنيل.. لقد أشار إلى المنافع والدعاية.. وواقع أن هناك إهتمام بالفيلم الذي وافقت بكل غباء أن يصور هنا.. ومع ذلك كنت أميل للرفض، ولكنني مدين لتوماس بجميل، فلقد دعمني عندما كنت أمر في وقت عصيب منذ سنوات، بعد اندلاع حريق كاد يلتهم كل شيء هنا... وكنت بحاجة لبعض الدعاية العلنية كي أستطيع الوقوف

على قدمي من جديد.

ـ فهمت.

برناردو بريغادينو رجل لا يقبل أن يكون مديناً لأحد. . وتابع كلامه:

ـ ربما تحبين أن تشاهدي المناظر من على الشرفة، ثم سأجول بك في الكروم والمعصرة لأعرفك بالمكان.

ووقفت تتبعه عبر باب زجاجي مرتفع ومستدير من أعلاه، وشاهدت وراءه شرفة حجرية عريضة يحدها جدار حجري منخفض. وما أن خرجت حتى لفحها هواء بارد فجأة، فارتعدت. .

ـ هل الطقس بارد عليك هنا؟

وأحست بالخوف، لقد ظنت أنه سيلف ذراعه على كتفيها ليحميها من الهواء. ولو فعل. . فهل ستتمكن من إخفاء إشمئزازها من عشته؟ وقالت بسرعة:

ـ لا. . بالمرة. الهواء منعش هنا. . هاه. . إنه نقي. !

ـ بإمكانك الخروج إلى هنا وتنشق الهواء ساعة تشائين. . هناك يقع المختبر. وأهلاً بك لزيارته في أية لحظة.

وأخذ يشير للأمكنة التي يمكنها أن تذهب إليها. . والأماكن التي لا يمكنها الذهاب إليها. . على الأقل ليس دون رفقة أحد. وسألته:

ـ هل مسموح لي بأن أتجول بين الكروم؟

ـ طبعاً. . وربما رغبت في يوم حار أن تسبحي في البحيرة. إنه مكان آمن. . حسناً هل أرضى المنظر ذوقك؟

وأحست بشعر رقبتها يقشعر. . هل لاحظ أن تفكيرها بعيد عنه؟ هل لاحظ حتى إنها لم تكن تنظر إلى المناظر؟ هل يمكن أن يتساءل لماذا؟ ودون أن تلتفت قالت:

ـ جماله يقطع الأنفاس. منظر الوادي، التلال الزرقاء. . والصفوف

المتناسقة لعرائش الكرمة. . و. . الورود في الحديقة. . أنا أعشق الورود. إنها أزهاري المفضلة. يمكنني تنشق عبيرها من هنا.

ـ سوف أطلب من أنيتا أن تضع منها في غرفتك.

ـ لا بد أنك تحبها أيضاً. فهناك الكثير منها هنا.

ـ أحبها أجل. . ولكن هناك سبب خاص لزراعتها هنا. . فالورود لها دور فعال في زراعة الكرمة، فهي تلعب دور الأنذار المبكر لظهور الفطريات، وشقيقتي إيفون هي المسؤولة عن زراعة الورد. . وهناك أكثر من ألفي شجرة ورد. لقد كانت إخصائية في مشاتل الأزهار. ولكنها الآن تساعدني هنا معظم الوقت.

ـ وهل تسكن هنا؟

وما رأيها بفضائح شقيقها الغرامية؟

وهز رأسه:

ـ لقد تزوجت من مدير المصانع كارلوس منذ سنتين. وكلاهما يعيش هنا، مع أن إيفون تقول إنها ستنتقل متى بدأت تفكر بإنجاب عائلة. . أو متى قررت أنا الزواج والإستقرار. وأشك في الشرط الأخير.

ـ ألا تنوي الزواج أبداً؟

ـ لم أقابل بعد المرأة التي قد أرغب في قضاء ما تبقى من حياتي معها. . أو تكون أماً لأولادي.

أيها القذر. . . ! ومع ذلك تترك النساء يصدقن إنك تريد الزواج منهن. ومن الواضح إنه رجل مستعد للوعد بأي شيء ليجذب المرأة إلى فراشه، ويبقيها هناك إلى أن يجد واحدة أخرى! يوماً من الأيام ستتمكن إمرأة من إلزامك بوعدك برناردو بريغادينو. . . ! وعندها ستكون نادماً.

ـ يبدو عليك الكدر قليلاً أليكسندرا. . هل خاب أملك؟

هل كنت تأملين بالعودة مع سبق صحفي؟ «برناردو بريغادينو سيتروج».. إنه عنوان مقال رائع. ولكنني آسف لتخييب ظنك! أم أن خيبتك عائدة.. لسبب شخصي؟

والتفتت بحدة:

ـ أنت آخر رجل في الدنيا قد....

وصمتت خائفة مما كادت أن تقوله، وما كانت ستكشفه، ثم:

ـ أعني..

ـ وعادت إلى الصمت بارتباك، وقد احمرّ وجهها.

ـ يبدو عليك أنك تعنين ما تقولين.. حسناً هذا أمر يسرني.

وبدت عليه الدهشة أكثر من الغضب... فهو كواحد من أشهر العزاب في أوروبا وأغناهم، فلا بد أن تكون النساء تلاحقه طوال الوقت... وكم سيرتاح ليعلم إنه لن يقع في مثل هذه الورطة معها.

ـ وهل لديك أخوات أو إخوة آخرين؟

ـ لدي أخ.. بيادرو.. شقيق إيفون التوأم. يعيش في مقاطعة أخرى من شمالي اسبانيا حيث لنا مزارع كرمة.. مترامية الأطراف أكثر من هنا.. ونجلب العنب إلى هنا لعصرها في المصنع. فكل أعمالنا مركزها هنا في هذا الوادي.

ووجدت نفسها تنتشق المزيد من الهواء المنعش وهو يتكلم.. وساعدتها الطبيعة على إستعادة هدوئها. فقد كان صوته منخفض النبرات وجذاباً، له تأثير اضطرت لأن تعترف بأنه يلقي السحر فوق قلب أية إمرأة... وقال لها:

ـ لننزل الآن ونقابل إيفون وكارلوس.. أخشى أن لا يكون أي منا في المنزل للعشاء معك، فإيفون وكارلوس ذاهبان للعشاء مع بيادرو وأنا لدي موعد عشاء في البلدة.

أجل أعلم هذا، فأنت لم تجعل سراً أمر حاجتك الماسة لباميلا. وتابع كلامه:

ـ سوف تحضر أنيتا بعض الطعام لك في غرفتك.. وأعتقد أنك بحاجة للراحة باكراً والنوم، قبل بدء عملك في هذه المهمة اللعينة في الصباح.

ـ هذا، بُعد نظر منك..

وأشار إليها للعودة إلى المكتب.. وهي تتجاوزه لمست ذراعها العارية ذراعه.. وأذهلتها الجاذبية التي أحست بها لملمس بشرته الحارة. فأسرعت تدخل المكتب بسرعة.

ـ سوف أريك إلى أين يجيء العنب أولاً.

وأمضيا بضع دقائق في منطقة استقبال أحمال العنب، وأخذ يتحدث إلى شارل مساعد مسؤول المعصرة، عملاق طويل كان يروح ويجيء مقدّراً كميات العنب الواصلة، وكان الهواء عابق برائحة العنب الناضج. وسأله برناردو:

ـ أين كارلوس؟

ـ كان هنا منذ بضع دقائق. لا بد إنه عاد إلى المختبر.

ـ سنراه لاحقاً.

وقاد أليكسي إلى داخل المصنع.. وبعد مراقبة آلة العصر تعمل، وآلة أخرى تفصل العصير، تابعاً سيرهما وأخذ برناردو يتفحص حرارة المراجل الخاصة بتسخين عصير العنب. وكل من قابلاه هناك بدا منشغلاً بشيء ما.. وكان يقدمها للجميع بكل بساطة: «أليكسندرا بوردوم.. من جريدة «دايلي نيوز» وسألها أحدهم:

ـ وأين الكاميرا؟

ـ لن أبدأ العمل فعلياً حتى الغد.

وابتسمت على أمل أن واقع عدم بدءها بالعمل قد يكسر الجليد.. وبدا

الجميع متودداً لها. على الأقل في الوجه.

وقال لها وهما على وشك الدخول إلى أقبية حفظ براميل الأنتاج:

ـ سوف تلاحظين الآن الأختلاف بدرجة الحرارة.

وفي الداخل أحست ببرد مفاجيء جعلها تفرك ذراعيها العاريين. وكانت البراميل، الصغيرة والكبيرة مصفوفة بصفوف مرتبة فوق بعضها حتى تصل إلى السقف. وفي غرفة التعبئة كان كل انش منها مشغول، ما عدا ممرات ضرورية، حيث كانت الصناديق تصل بدورها إلى السقف. على كلا الجانبين. وقالت:

ـ لا بد أن هناك مئات بل ألوف من الصناديق هنا.

وكانت إيفون ومساعداتها مشغولات جداً بحيث ابتسمت فقط لهما وهما يمران أمامهن.. وقال لها برناردو وهما يخرجان من المصنع:

ـ ستلتقين إيفون فيما بعد. والآن سنذهب للبحث عن كارلوس.

ووجدا زوج إيفون مشغولاً في المختبر، يتفحص نوعية الأنتاج. ودهشت أليكسي عندما قرع برناردو الباب قبل أن يدخل، فقد توقعت منه وهو «الريس» أن يدخل دون إستئذان.. ولكن ربما بإظهار إحترامه لموظفيه، يكسب إحترامهم بالمقابل. وقال لصهره:

ـ هل لديك دقيقة لتتعرف إلى ضيفتنا الجديدة؟

ـ بالطبع...

عينا كارلوس الزرقاوان كانتا ودودتان وهو يمد يده ليصافح أليكسي، ولكن ما أن أنهى برناردو التقديم حتى سد عليهما الطريق وقال:

ـ لن نتوقف الآن يا كارلوس.. بإمكانك تحيتها جيداً صباح الغد.

وتابع قوله لها وهما يخرجان:

ـ كارلوس كيمائي سابق. ولديه كفاءة عالية، وأفكاره لامعة. ومخلص.. إنه يستمر أحياناً في العمل وقت راحته.

ـ تبدو محظوظاً بموظفيك.

ـ أجل.. إنهم مخلصون جداً.

عندما خرجا إلى الهواء الطلق كان قرص الشمس يغوص بين التلال البعيدة، والسماء تلونت بلون أحمر برتقالي. وأحست أليكسي بدفء غريب يتملكها، فجميع من التقت بهم كان يرحب بها بمودة، مع كثرة إنشغاله.

وتوجهت بنظرها نحو المنحدرات الجبلية المليئة بالكروم.. لا عجب أن اليزابيت أحبت المكان.. وفي تذكرها لأختها أحست بوخزة ألم.. جزء من الألم وجزء من الذنب.. لو أن من يعيش هنا يعرف أنها شقيقة اليزابيت، أكان يرحب بها كما يفعل الآن؟ إنها تكره خداع الناس، وتحس أنها سوف تحب الناس هنا، على الرغم من كراهيتها المسبقة لبرناردو بريغادينو.. ونظر برناردو إلى ساعته:

ـ حسناً.. والآن وقد شاهدت كل شيء تقريباً.. ما عدا أقبيتي الخاصة تحت القصر.. فلدينا فيها مجموعة رائعة من إنتاج السنوات الماضية.. وهو فعلاً قبو غير عادي. بناه جدي. فما رأيك بعالمنا الصغير هذا؟ هل تظنين إنك ستتمتعين بأسبوعك هنا؟

تتمتع...؟ إنها لم تأتِ إلى هنا لتتمتع... ولا لتقع تحت سحره، الذي يتوقع دون شك أن تقع فيه كل النساء. وإجابته ببرود وهي تشدد على الكلمات:

ـ أنا واثقة أنني سأتمتع بـ... بمهمتي هنا.

ـ رائع.. لدي شعور بأننا سنصبح من المشاهير.

وأحست بضعف في ركبتيها، فاستحضرت صورة وجه أختها كي تتماسك. برناردو بريغادينو رجل خطر لا يرحم، يا أليكسي بوردو. وستكون الطامة فوق رأسك لو أنك نسيتي هذا..

الفصل الرابع

برناردو بريغادينو رجل يفي بوعده.. في بعض الأمور على الأقل.. واكتشفت أليكسي ذلك منذ أول يوم. فبعد أن صعدت إلى غرفتها وجدت مزهرية مليئة بالورد الأصفر على طاولة الزينة. ومع أنها إيماءة ود صغيرة منه، إلا أنها أدهشتها وأسعدتها. فهي لم تتوقع منه أن يتذكر ذلك الوعد المتسرع الذي وعدها به في الشرفة.

إذن هكذا يتودد إلى المرأة. إنه يريد مداهنتك لتكتبي أشياء لطيفة عنه. فمثله لا يفعل شيئاً دون هدف.. أو دون كسب شخصي.

وأغراها علمها، أن برناردو وشقيقته وزوجها لن يكونوا في المنزل. لتنزل إلى قبوه الخاص، فقد تتمكن أن تجد الماسة التي أضاعتها اليزابيت هناك. ولكنها تراجعت عن الفكرة بسرعة. فقبو فيه أشياء ثمينة مثل هذا لا بد إنه مقفل ولن تعرف أين هو المفتاح.. وعلى كل الأحول أنيتا موجودة.. وستحضر لها الشاي، ولا بد أن مخدومها يتوقع منها مراقبة ضيفته.. وسوف تنتظر فرصة أخرى خلال الأسبوع المقبل.

الفطار، كما أكد لها برناردو، عند السابعة والنصف تماماً. ولديه سلسلة من المواعيد عليه اللحاق بها في البلدة، لذا يجب أن تسرع إذا أرادت رؤيته. ونزلت إلى غرفة الطعام الصغيرة الملحقة بالمطبخ، والكاميرا على كتفها.

وحدقت بها ثلاثة أزواج من العيون بخوف، وقطب برناردو حاجباه:

ـ وهل ستطلقين أنوار هذه في وجهنا ونحن نأكل؟

ـ هذا الصباح فقط تحت عنوان «القطار في الأسبوع العادي من حياة برناردو بريغادينو».. هل تمانع؟

وابتسمت له.. ولمع شيء ما في عينيه ربما ابتسامتها أو شيء ما حولها، قد فاجئه. ولاحظت أنها الإبتسامة الحقيقية التي ظهرت على وجهها منذ وصلت إلى هنا. فقال بتنهيدة المستسلم:

ـ الإتفاق هو الإتفاق كما أعتقد. لقد وافقت على هذا.. أوكي... إفعلي ما تشائين. وبعد ذلك يمكنك تناول الطعام.

خلال القطار كان الحديث، وخاصة في مثل هذه الأيام، منحصراً في نوعية العنب وتصنيعه. وارتابت أليكسي في أن العائلة كانت تتجنب الخوض في أي موضوع شخصي، أو حتى أي شيء له صفة خاصة حول أعمالهم.. بسبب وجود غريبة بينهم. ثم قال برناردو بعد فترة وهو يدفع كرسيه إلى الوراء ويقف:

ـ هلا عذرتموني.. لدي نهار مشغول جداً أمامي.. أليكسندرا إذا كنت تنوين المجيء معي إلى المدينة فأنا أنوي المغادرة بعد عشر دقائق.

وقفزت أليكسي واقفة على الفور:

ـ سأكون جاهزة.

ولكن قبل أن يتحرك أي منهما من مكانه سمع الجميع صوت فتح الباب وإقفاله بحدة، ثم أصوات صراخ وكلام. وظهرت أنيتا بالباب فقال برناردو متساءلاً:

ـ ماذا جرى أنيتا؟

ـ لقد حصل حادث.. أحد القطافين.. قطع طرف أصبعه..

ـ وأين هو؟

ـ في المطبخ. إنهم يضعون يده في الثلج. أنبريكو يتحضر ليأخذه إلى المستشفى المحلي ولكن الشاب قلق مما سيحدث لأصبعه... فهو موسيقي في فرقة موسيقية... أترى...

ـ أوكي أنيتا. سأتولى الأمر. أليكسندرا! كوني جاهزة للرحيل فور أن أنهي بعض المكالمات الهاتفية.

وسارعت أليكسي إلى غرفتها لتحضر دفتر الملاحظات وسترتها.. وعندما نزلت كان برناردو ينتظر في سيارته وقد وضع الشاب المصاب في المقعد الخلفي، وكان الشاب يمسك بيده الملفوفة بالأربطة ووجهه شاحب، ولكنه كان قد هدأ ويجلس ساكتاً. وقال برناردو:

ـ سآخذه إلى المستشفى في المدينة. إجلسي معه في المقعد الخلفي وراقبيه، ولكن دون تصوير..

ـ لا.. بالطبع لا.

وابتسمت للشاب الذي سارع ليقول:

ـ أنا لا أمانع في تصويري.. أرجوك أن تكتبي عن هذه الحادثة فالسيد بريغادينو رجل عظيم، لقد اتصل بأمهر جراح أعصاب كي يجري لي جراحة لأصبعي. أتعلمين! إنه يقول بأن أصبعي سيعود كما كان!

ـ هذا عظيم.

ومال الشاب نحوها.

ـ يقول السيد بريغادينو أن علي أن لا أقلق.. فسوف يدفع كل التكاليف! إنه رب عمل ممتاز. أي واحد آخر كان سيضعني في المستشفى المحلي ويتركني لحظي!

ولاذت أليكسي بالصمت وقد انطلقت بهم السيارة بنعومة وسرعة.

فسماعها هذا التقييم الممتاز حول رجل تنوي التعريض بسمعته، لكونه قاسي الفؤاد تنقصه المزايا الإنسانية، قد صدمها كثيراً ولكن، ستنتظر لترى إذا كان سيحافظ على مستواه هذا لما تبقى من الأسبوع! وسوف تراهن بكل ما هو غريب بأنه لن يستطيع!.

وأصرّ برناردو على البقاء مع الشاب المصاب في المستشفى إلى أن وصل الجرّاح.. وفي الواقع حتى لحظة أخذوه على العربة إلى غرفة العمليات. ثم اتصل بأهله وشرح لهم ما حصل. ولم يغادر المستشفى إلا بعد أن تأكد أنهم قادمون.

ومر ما تبقى من ذلك اليوم بسرعة، بعد أن اضطر إلى حصر مواعيده فيما تبقى له من وقت. أول لقاء كان مع مدير محطة إذاعة محلية وكان على برناردو أن يستمع إلى عدة مشاريع إعلانات ليقرر أيها سيتبنى للأسبوع المقبل.. وبعد القرار تدفق قلم أليكسي، وعملت كاميرتها دون هوادة إلى أن تحركا نحو موعده التالي، مع خياطه الخاص الشهير. حيث وافاه إلى هناك رجل إعلانات.. وسوف يظهر برناردو في إعلان على صفحة كاملة للاعلان عن أفضل البذلات لديه، فمن المعروف عنه أنه أفضل من يرتدي الملابس الأنيقة في اسبانيا كلها. وبعد بحث التفاصيل قرر برناردو العودة في اليوم التالي. وقال لها وهما في السيارة:

ـ والآن.. لدينا الوقت لتناول غداء سريع.

وفي طريقهما إلى المطعم، اتصل عبر هاتف سيارته بالمستشفى ليقال له أن الشاب قد خرج من العملية وأن أهله أخذوه إلى المنزل، وأصبعه أُنقذ، ويتوقعون أن يستخدمه بالكامل بعد وقت قصير.

وهما يدخلان المطعم التقتهما صاحبته.. إمرأة طويلة جميلة لها شعر أحمر قصير فاتن:

ـ باميلا!

وانحنى برناردو ليقبلها على خدها. باميلا؟ هي تلك المرأة التي كان يتكلم معها في الهاتف يوم أمس؟ «أحتاج إليك حبيبة قلبي». . وأسرع إليها في المساء ليحاول إغواءها. . إلى أين؟ إلى فراشه بالطبع. . . شفتاها مغريتان. . ورفعت كاميرتها والتقطت لها صورة. واستدار رأس برناردو بحدة:

ـ لأجل السماء أليكسندرا أبعدي هذه اللعينة عني ودعيني أرتاح. باميلا حبيبتي. . هذه أليكسندرا، الصحفية التي أخبرتك عنها.

ـ يا إلهي. . أنت تحسن انتقائهن يا برناردو.

لا يمكن أن تغار منها؟ ليس مني بالتأكيد! وتابعت باميلا محذرة:

ـ إحذري عزيزتي أليكسندرا. . أنت لا زلت شابة! وبرناردو رجل جذاب خطير، هذا لمجرد تحذيرك حبيبتي. . ولست أظن بك الظنون. . .

ـ لا تقلقي لن أُفتتن به.

وقال برناردو من خلفهما:

ـ بماذا تتهامسان؟

ـ كلام فتيات يا حبيبي. أخشى أن يكون علي الآن تركِكما. . لقد وصلت مجموعة لأقامة حفلة غداء كبيرة. . وسأكون مشغولة.

ـ هيا إذهبي. . سأراك لاحقاً.

ونظر إليها نظرة ذات معنى فاحمرّ وجهها وقالت بنعومة قبل أن تختفي:

ـ أنت تصعب الأمور علي برناردو بريغادينو.

بعد انتهائهما من الغداء السريع طلب برناردو كوبين من «الكابتشينو» وكانا يرتشفانهما عندما دخلت الشمس فجأة عبر النافذة لتشع فوراً على وجه أليكسي، ورفعت يدها لتحجب الشمس عن عينيها فلاحظت إنه يحدق بها وكأنه يراها لأول مرة. وعندما لم يشيح بنظره عنها بعد أن

التقت عيونهما، أحست بالدم يتصاعد إلى وجنتيها، فغضبت من نفسها لهذا التصرف وكأنها فتاة مدرسة صغيرة. وسألته:

ـ هل هناك شيء عالق بين أسناني تنظر إليه؟

ـ لا. . بل كنت أنظر إعجاباً بهاتين العينين الرماديتين. فبضوء الشمس عليهما يلمعان وكأنهما الفضة. صافيتان، صريحتان، مؤثرتان. . ومع ذلك فهما مليئتان بالعمق الخفي. .

وأخفضت رموشها في الحال. . وفي نفس الوقت أحست أن احمرار وجهها قد ازداد. فتمتم بصوت منخفض:

ـ هل أنت واثقة أنك لست محتالة يا أليكسندرا بوردوم؟

وارتفعت رموشها على الفور وقد اتسعت عيناها:

ـ محتالة؟ ما. . ماذا تعني؟

هل لاحظ أي شبه مع اليزابيت يا ترى؟ هل خمّن من هي؟

ـ لست أراك كصحافية تركض الأميال وراء الخبر يا أليكسندرا. . ومن خلال خبرتي بالصحافيات عادة يكن مخلوقات متحجرات عمليات، هجوميات، غير حساسات لهن أصوات حادة دون أي اعتبار لمشاعر الآخرين. وهن بالتأكيد لا تحمر وجوههن خجلاً! والصحفيات اللواتي أعرفهن يستغلن فرصة الغداء معي كي يستجوبنني بقسوة. ولكنك أنت قد أدركت أنني لست راغباً في الكلام وأنني بحاجة لوقت للتفكير. . . ماذا جعلك تقررين أن تصبحي صحفية؟

ـ لقد أحببت المهنة. . وكنت حقاً راغبة في أن أصبح كاتبة. . كنت طوال حياتي أكتب القصص. . ولكن كتابة القصص لا يجدي عندما يكون المرء مجهولاً. وهكذا تقدمت للعمل في الجريدة، وكنت محظوظة بأن عملت فيها. كذلك درست فن التصوير، ولهذا أقوم بالتقاط صور مقالاتي بنفسي.

ـ وهل لا زلت تكتبين القصص؟

ـ عندما يكون لدي وقت.. كنت أحب أن أكتب متى شئت.. ولكن..

ودفع كرسيه إلى الوراء ليقف قائلاً بلهجة اعتذار:

ـ علينا التحرك الآن. هيا بنا.

وقبل مغادرة المطعم اتصل بالقصر ليمرر لهم الخبر السعيد بنجاح عملية الشاب.. ومن المطعم توجها نحو مكتبه الرئيسي في البلدة، حيث كان لديه موعد مع ممثلي مبيعاته وخلال الإجتماع التقطت أليكسي عدة صور، وسجلت بضع ملاحظات في دفترها... وعلى الرغم من نفسها تأثرت أليكسي به جداً.

خلال توقف بسيط لتناول القهوة في الإجتماع سمعت أحد ممثلي البيع يقول لصاحبه:

ـ برناردو لن يكون برناردو إن لم يكن معه فتاة جميلة متعلقة بأذياله.

ـ الشيطان المحظوظ.. هل تظن أنه سيستقر يوماً ويتوقف عن العبث؟

ـ ولماذا يفعل؟ إنه قادر على «الفرقعة» بأصابعه ليحصل على أجمل فتاة متى أراد؟ إنه يجتذبهن كما يجتذب اللهب الفراشة.. حتى إنه غير مضطر لملاحقتهن..

وأدارت أليكسي رأسها نحوهما بحدة.. هل يظنون حقاً أنها... إنه...؟

الأقرب منها مال نحوها وقال بلهجة المعتذر:

ـ أنا لم أكن ألمح إلى أنك واحدة من... من...

ولكزه الآخر:

ـ أنت تجعل الأمر أكثر سوءاً. فبالإستماع إليك سيظن الجميع أن

برناردو لديه «حريم» خاص من النساء. على الأقل الرجل ثقة بأنه إنما يحتفظ بإمرأة واحدة.

فتنهد الآخر وقال بحسد ظاهر:

ـ أعتقد إنه لا يستطيع فعل شيء إذا كانت النساء ترمين أنفسهن عليه.

فضحك الأول:

ـ يوماً ما سوف تصيبه إحدى هذه الفتيات بسحرها ولا تقع تحت قدميه.. وإذا كان يرغب بها بشدة فعلية أن يقوم هو بملاحقتها وأتصور أن هذا سيكون اختباراً جديداً لبرناردو بريغادينو. يبدو لي إنه يبحث عن شيء لم يجده في النساء بعد.

خلال عودتهما إلى «كوادلكفير» أي الوادي الكبير، حيث يقع وادي باروسا، الذي يأوي القصر بين تلاله المرتفعة، كان الزحام شديداً على الطريق.. وبذلك لم يكن برناردو راغباً في الحديث. لقد كان يومه طويلاً ومتعباً، وبدا أن الكثير من الأفكار تشغل رأسه. ولم تحاول أليكسي أن تتدخل في أفكاره.. فلديها أفكارها تخلد إليها.

كان الظلام قد بدأ يحلّ عندما وصلا إلى منحدرات الوادي. وبينما هما يمران في القرية الصغيرة التي لا تبعد الكثير عن «شاتو بريغادينو» رن جرس الهاتف في سيارته، وبدل أن يتوقف ليرد أدار السماعة عالياً وملأ صوت إيفون القلق السيارة:

ـ برناردو أين أنت؟

ـ أغادر القرية لتوي.. ماذا هناك؟

ـ باتريك دوفيرو حصل له حادث سيارة مؤسف جداً. لقد اتصلت زوجته من المستشفى في مدريد.. لقد أوصلتهم إلى هناك طائرة هليوكوبتر.

وأحست أليكسي بيرناردو يتوتر إلى جانبها:

ـ وهل جراحه بالغة؟

ـ أخشى هذا. . عدة إصابات في الصدر وعظام مكسورة، وحاله خطرة

لقد بدت إيلسا قلقة جداً.

ـ هل هناك أحد معها؟

ـ لا أظن. . فليس لهم أية عائلة هنا.

ـ وأين بيادرو؟ لماذا ليس معها؟

ـ لا أحد يعرف أين هو. لقد ترك العمل باكراً ولا بد أنه خرج مع ايفا والبنات إلى مكان ما. . فهاتفهما لا يرد.

ـ حضري لي حقيبة يا إيفون. . واجعلي أنيتا تحضر حقيبة أخرى لأليكسندرا. سأعود إلى المدينة وسنبقى الليل هناك. وسنصل إلى المنزل بعد دقائق. وسنأخذ الحقائب ونسافر فوراً.

وصاحت إيفون محتجة:

ـ برنارد. . لا يمكنك قيادة السيارة إلى المدينة. . سوف تتعب حتى الأرهاق. ولم تتناول الطعام. إنهم يبذلون ما باستطاعتهم له. . ألا يمكنك الأنتظار حتى الصباح؟

ـ قد يكون الصباح وقتاً متأخراً. إيلسا تحتاج إلى الآن. تأكدي من تحضير ثيابنا.

وأقفل السماعة. . ونظرت إليه أليكسي بعطف:

ـ هل هو صديق مقرب؟

ـ إنه موظف يعمل لشقيقي بيادرو في حقول الكرمة الأخرى لنا. باتريك رجل طيب وعامل ماهر.

وعلى الرغم من مشاعرها الخاصة تجاهه، أحست بتزايد الإحترام له.

ليس صديقاً. . وليس حتى موظفاً لديه. . بل عند شقيقه، ومع ذلك فهو سيعود ليستدير المسافة حول الوادي الكبير ليتجه إلى مدريد ويتأكد من سلامة الرجل بنفسه، ويواسي زوجته المنهارة.

وسيأخذها معه. . ليس لأنه يريد هذا. . بل لأن الإتفاق ينص على هذا. . فهي يجب أن ترافقه أينما يذهب هذا الأسبوع. ولكن. . أين سيناما هذه الليلة؟ هل سيحجز لها غرفة يوصلها إليها بعد أن يزورا المستشفى ثم يختلفي ليلهو؟

أم. . .؟ واحمر وجهها. . . هل سيتخلى الليلة عن كل شيء ويقضي سهرته معها؟ وتصورت نفسها وحيدة معه في نفس الفندق. . كلاهما فقط. . معاً. . وأحست بحرارة خديها تزداد. هل سيحاول برناردو بريغادينو، زير النساء الذي تعرفه أن يستفيد من هذا الوضع الطاريء؟ هل يمكن أن يحجز غرفتان متصلتان، على أمل. . أن. .؟

وأحست بمشاعر تخنقها، وكأنما نفذ الهواء من حولها. . .

مما أنت تخائفة؟ لن يحاول معك شيئاً. وحتى لو فعل، باستطاعتك التعاطي معه. . أنت تعرفين نوعيته. والإنذار المسبق، كما يقولون، سلاح فعال.

الفصل الخامس

خلال رحلتهما الطويلة إلى مدريد، تناولا السندويشات التي حضرتها لهما أنيتا. ووجدت أليكسي نفسها وقد مال رأسها إلى جانبها.. وغطت في النوم.

وسمعت صوت برناردو قريب من أذنها:

ـ بإمكانك الإستيقاظ الآن.. لقد وصلنا.

وفتحت عينيها لتجد رأسها ملقى على كتفه، فاستوت في جلستها وهي تتمتم بالإعتذار، فضحك:

ـ من دواعي سروري. هل تريدين الدخول معي؟

ـ وهل تمانع في أن أدخل الكاميرا معي؟ أعدك بأن لا أتدخل بشيء.

ـ لا أظنك تفعلين هذا.. تعالي معي إذن.

وقابلتهما زوجة باتريك دوفيرو إيلسا خارج غرفة العناية الفائقة:

ـ سيد بريغادينو كم هذا لطف كبير منك أن...

ـ إسمي برناردو أرجوك. كيف هي أخبار باتريك؟

ـ إنهم يجرون له عملية جراحية، لقد بدأوا فيها منذ زمن طويل.

وتملك أليكسي شعور غريب عندما شاهدت يد برناردو القوية تمسك بذراع المرأة، وكأنما تشهد قوتها تمرر التشجيع لها.. وقال:

ـ إنه بين أيدي ماهرة. سأبقى معك إيلسا.. لن تكوني لوحدك.

ـ اوه شكراً لك سيد بر... برناردو. أنا مقدرة لك هذا حقاً.

واغرورقت عيناها بالدموع.. وأدار برناردو رأسه إلى أليكسي يحدق في عينيها بعد أن لاحظ أنها رفعت الكاميرا ثم أعادتها إلى مكانها دون أن تلتقط صورة، ولاحظت أن تعبيرات وجهه قد تغيرت وكأنما يشكرها لتقديرها الموقف. وقدم المرأتين لبعضهما ثم قال:

ـ أليكسندرا لماذا لا تذهبي وتجدي لك بعض القهوة.. سأبقى هنا مع إيلسا حتى نسمع أخبار باتريك.

فهزت رأسها وقالت:

ـ أنت بحاجة إلى القهوة أيضاً.. سأحضرها لكما..

ومرت ساعة ونصف، وخرج رئيس الجراحين وتحدث مع إيلسا:

ـ لقد اجتاز الخطر.. بإمكانك رؤيته للحظات فقط.. ثم أريده أن ينام.. وبإمكانك أنت أيضاً النوم، لقد دبرت لك غرفة هنا لقضاء الليل.

وقالت إيلسا هامسة وقد أمسكت بيد الجراح:

ـ آوه.. شكراً لك. شكراً لك.

واستدارت لبرناردو:

ـ وشكراً لك كثيراً يا برناردو لبقاءك معي.. سأكون بخير الآن.

ورد برناردو عليها والخطوط القاسية حول فمه تتحول إلى بسمة:

ـ قولي لباتريك أن لا يقلق لشيء.. فليركز على أن تتحسن صحته. سأبقى الليلة في المدينة، وسأعود لرؤيتك صباحاً. وإذا احتجت أي شيء اتصلي بي على هذا الرقم.

فشكرته ثانية واختفت مع الممرضة لتلقي نظرة على زوجها.

ـ هيا بنا أليكسندرا.

وعندما أصبحا خارج المستشفى قال:

ـ ألم تأخذي أي صورة؟

ـ لا . .

ـ أنا واثق أن إيلسا ستقدر لك هـذا. لنذهب إلى «الموتيل» ونتناول شراباً دافئاً يساعدنا على الراحة. فأنا بحاجة إليه . . وأنت؟

وخفق قلبها . . لقد قال «موتيل» والموتيل عادة ليس فيه مقهى . . فهل يعني هذا تناول الشراب في غرفته؟ وأحست بوخز إبر في جلدة رأسها، لو قبلت، ستكون قابلة لماذا؟

ـ هذا يعتمد على ما تقصده بشراب ساخن؟

ـ مجرد شراب يريح أعصابنا المتوترة . .

ـ فليكن . . قد يفيدني هذا.

ـ فلنذهب إذن.

ولم يكن الموتيل بعيد عن المستشفى، وفي وقت لا يذكر وصلا وحجزا ووضعا حقيبتيهما في غرفتين متصلتين. ولاحظت أليكسي وجود باب مشترك بينهما. وبدأ قلبها يخفق بقوة. وأنبت نفسها: حمقاء . . هل يمكن أن يتورط مع صحافية قد تكتب عنه ما تشاء؟ إنه ليس بهذا الغباء . .

وقفزت من مكانها عندما سمعت دقاً خفيفاً على الباب، ليس الباب الخارجي بل الباب الداخلي المشترك! وصاح برناردو:

ـ أليكسندرا . . هل أنت جاهزة؟ ادخلي إلى غرفتي . . المفتاح من جانبك يفتح الباب.

وأسرعت في صمت لتزيح طاولة تسندها إلى الباب وهي تقول:

ـ هناك شيء ما أمام الباب يسد الطريق . . سأجيء من الباب الرئيسي .

وما كادت تفتح الباب حتى أصبحت بين ذراعي برناردو:

ـ ماذا تفعل هنا؟ لقد ظننتك . . .

ـ أتيت لأزيح العائق من أمام الباب .

وتقدم ليزيح الطاولة ثم قال:

ـ حسناً . . ادخلي من هنا .

ومرت من أمامه وهي تلاحظ بسمته الساحرة وهو يلحق بها إلى غرفته ويغلق الباب خلفه.

ـ ماذا تريدين أن تشربي .

ـ شاي مع الحليب أرجوك . .

وصب كوبين من الشاي ووضع لها الحليب في كوبها وجلسا ليرتاحا ويحتسيان الشاي. وقال لها ونظرته تجول بكسل فوق وجهها.

ـ لقد كان يوماً مرهقاً لك . . لأول يوم عمل. لقد كنت صبورة ومدركة . . وأقدر لك هذا.

ـ وكان يوماً مرهقاً لك أيضاً. زيارتان غير متوقعتان للمستشفى زيادة على أوقات مواعيدك . . ولكن أعتقد أنك معتاد على الزحام في مواعيد يومك.

ـ تعنين أنني أعيش حياتي بسرعة؟ أعتقد هذا. ولكن من الجيد أيضاً أن يرتاح المرء، وخاصة بعد يوم كهذا. وأجد أنني قادر على الراحة معك أليكسندرا . فليس هناك كثير من النساء قادرات على جعلي أشعر بالراحة. فمعظمهن يسعين لجذب انتباه الرجل . . أو ما شابه. ولكن أنت . . هناك نوع من الهدوء حولك أجده مريحاً، وخاصة الآن، حيث بكل صراحة أشعر بالإرهاق . . أنت إمرأة جميلة يا أليكسندرا .

هذه مجرد كلمات، كلمات قالها آلاف المرات من قبل أمام النساء . .

ونظرت إليه بحدة فقال:

ـ هل أحرجتك . ؟ أنا آسف .

وقالت بحدة أكثر مما كانت تنوي:

ـ لا.. بالمرة. لكنني لا أحفل كثيراً بالغزل العادي.

ـ ماذا هناك فيك أليكسندرا بوردوم، يجعلك مختلفة... جداً.. عن باقي النساء؟ لم أستطع فهمك بعد؟

لا يمكن أن تترك هذا الحديث يستمر، لقد أصبح شخصياً جداً.

ـ برناردو... أخبرني عن الفيلم الذي صور في «الشاتو».

ـ لماذا يتملكني انطباع بأنك تتهربين من الحديث عن نفسك... حسن جداً.. ولكن لست أرى علاقة الفيلم بالتحقيق الذي ستكتبيه.

ـ اوه.. ليس له علاقة.. أنظر.. لا أحمل دفتر الملاحظات، لقد فكرت فقط أنه موضوع..

ـ موضوع جميل وآمن. أكثر أماناً من التحدث عن نفسك؟

فابتسمت:

ـ حسناً.. إنه موضوع لا ضير فيه ينهي يومنا المتعب.

ـ هه.. لا بأس إذن. سأخبرك قدر ما أعرف. إنه عن مجتمع اسباني ممل.. بطلته اليزابيت برايس، التي ترث مساحات شاسعة من الكروم من عمها، وتقرر الإستغناء عن حياتها في المدينة لتدير المزارع بنفسها. ولكن رئيس العمال لم تعجبه رئيسته الجديدة فهو مقتنع أن كل قراراتها لا معنى لها، وأنها ستتعب بعد مدة، هذا إذا لم تخرّب العمل كله قبلاً. وتبدأ الشرارات بينهما، وتراقب صديقته التي تلعب دورها ساندي يورك انقلاب هذه الشرارات بالتدريج إلى غرام عاصف.. وتشعر بالغيرة.. وتحاول تدمير البطلة بإشعال النار في الكروم وعندما تفشل تحاول قتلها.

ومررت أليكسي لسانها فوق شفتيها اللتان جفتا فجأة.. هل كان للعواطف في القصة صدى في الحياة الفعلية؟ وهل كانت ساندي يورك غيورة من اليزابيت لدرجة التخلص منها أيضاً.. اما شخصياً أو مهنياً..

وهل هذا هو سبب تدخلها بينها وبين برناردو؟

وتنهدت قائلة:

ـ أفهم من هذا إنه كان هناك منافسة حقيقية بين ساندي يورك واليزابيت برايس...

ـ وهل كان هناك مثل هذا؟ حسناً، أعتقد هذا. فالبطلو البطلة لعبا أدوار غرام مثيرة عند التصوير. وأعتقد أن هذا جعل ساندي تغار.

ـ ولكن لماذا؟

ـ لأنها كانت مجنونة بحب البطل.. ولم تخف الأمر.

وحدقت به أليكسي بذهول: هل كانت ساندي فعلاً تعبث مع البطل ومعه في وقت واحد؟ لا عجب إذاً أن دعتها اليزابيت بالعاهرة! وتابع برناردو:

ـ أليكسندرا.. كم أتمنى لو أعرف ماذا يدور في رأسك الجميل هذا!

ـ لا شيء.. وماذا جعلك تعتقد...؟ انظر.. لقد حان وقت نومي.. وأحس أنني متعبة.. ولا أستطيع التفكير السوي.

ـ النوم.. آه.. هذا يبدو جيداً.

لماذا لهذا الرجل الذي تكرهه أكثر من أي رجل آخر هذا التأثير المذهل عليها؟ يجب أن لا تفكر به.. ليس بهذه الطريقة.. وليس بأية طريقة أخرى!

تذكري اليزابيت.. تذكري كم آلم شقيقتك! ووقفت وهي ترتجف:

ـ عمت مساء برناردو.

وقبل أن تصل إلى الباب، كان برناردو قد لحق بها.. فأحست فوراً بدوار خفيف. وقال لها بصوت منخفض:

ـ بإمكانك التأخر في النوم صباحاً. سأطلب أن تحضر لك صينية طعام

الفطور إلى غرفتك، بينما أذهب أنا لأطمئن على بعض الأعمال وسنذهب معاً إلى المستشفى حوالي التاسعة والنصف لزيارة باتريك أعطني مفتاحك!

ـ أستطيع تدبير الأمر بنفسي.

ـ أعطني إياه.

وأعطته إياه، ففتح الباب، ودخلت فدخل وراءها وأضاء النور بينما كانت لا تزال تفتش عن الزر. واكتشفت أنها تجد صعوبة في التنفس.. لماذا لحق بها إلى غرفتها؟

وتقدم نحو الطاولة ليلتقط لائحة الطعام الموضوعة هناك وسألها:

ـ ماذا تحبين على الفطار.

ـ لحم وبيض.. وعصير برتقال وشاي.. شكراً لك.

وسجّل ما طلبته. ثم خطا نحو الباب وما أن وصل حتى توقف:

ـ تصبحين على خير أليكسندرا.

وعاد خطوة ليقترب منها.. وللحظات لم تثق بنفسها أن تتكلم. كل ذرة من أعصابها كانت تحس بقربه منها... وبجهد يفوق قدرة البشر، وقد استجمعت كل قطرة من إرادتها. استطاعت أن تكسر طوق سحره من حولها لتقول:

ـ تصبح على خير برناردو.

ومد يده إلى وجهها، ومرر أصابعه على بشرتها، بشرته الحارة بالكاد لامستها، فأحست بالشعر الأشقر الناعم على جلد جسدها كله ينتصب واقفاً.. وقال:

ـ لست أدري ما فيك يثير اهتمامي أليكسندرا بوردوم.. هناك شيء ما.. نوعية ما.. ما هي لست أدري.. فهذا ما يجعلك مختلفة عن النساء اللواتي عرفتهن.

وأحست بضيق في صدرها.. فما هو الشيء فيه الذي يجعلها تتأثر هي أيضاً به بهذه الطريقة، في وقت تعرف أي نوع من الرجال هو، وتكرهه لأجل ذلك؟ وسمعته يتنفس بصعوبة:

ـ لك وجه جميل، فيه صفاء.. مثل الكريستال.

وارتجفت: لقد قال لها قبل الآن أنه يجدها «مختلفة بشكل مخادع» وها هو الآن يدعوها «بالجميلة» ويقارنها بالكريستال!

إنها مجرد كلمات بالنسبة له.. تفاهات لا معنى لها.. كلمات تخطر على لسان أي رجل مثله. ولا ترغب في سماعها.. واستدارت مبتعدة عنه. فناداها:

ـ أليكسندرا.

وأمسك بذراعها، مما جعلها تشهق، وتنقطع أنفاسها، بعد أن لاحظت أن تغييراً ما قد اعتراه. لاحظت هذا من خشونة صوته ومن إلحاح في قبضته على ذراعها... في اللهيب الأخضر المنبعث من عينيه.

لا.. لا.. أرجوك... وهذه المرة لم تحاول إخفاء الرجاء في عينيها.. أرجوك إذهب. وحاولت التلفظ بالكلمات عالياً، ولكن لم يصدر عنها أي صوت. وسألها بسرعة وهو يحدق في عينيها:

ـ مما أنت خائفة يا أليكسندرا؟ مني؟ أم من الرجال عموماً؟

وتمكنت من إيجاد صوتها:

ـ بالطبع لست خائفة من الرجال.. أو منك.

ـ شكاكة إذاً؟ أليكسندرا.. أنت لا تصدقين كل الروايات التي قيلت عني. فكلها مبالغ فيها.

صحيح؟ ولكنها سمعت من فم شقيقتها كيف يعامل النساء! أو كيف يسيء معاملتهن بالأحرى! هل هو خائف أن تكتب الحقيقة عنه؟ وقال

الرجل الذي لا تثق به أبداً متوسلاً:

ـ أليكسندرا. . . أنا لا أحاول فقط أن أتملقك. . لقد عنيت كل كلمة قلتها. . ألا يمكن أن تثقين بي؟

وأحست بشعور غريب بعد أن ضيّق مسافة البعد بينهما، وعيناه تسبحان مع عينيها وكأنهما بحر أخضر لا قرار له، ويده تنزلق عن ذراعها لتمسك بذقنها ويرفعه إلى فوق، وكان لملمس أصابعه وقع الإبر الساخنة كالجمر فوق بشرتها.

وبالرغم مما كان عقلها ينصحها به. . . كان هناك شلل غريب يجتاحها ليجعلها دون حراك، بينما أخذ رأسه يهبط ببطء نحو وجهها، وشفتاه الثابتتان الدافئتان تلامسانها بخفة في البدء، ثم تفارقانها، ثم بقوة أكثر، وتتعمقان.

وفجأة ابتعد، وأحست بيده تهبط عن ذقنها: وقال:
ـ الأفضل أن أذهب. . نامي جيداً. . أليكسندرا!
واستدار على أعقابه وخرج من الغرفة.

ودفعت الباب لينغلق وراءه، واستندت إليه لتدعم نفسها، وأنفاسها تتسارع وكيانها كله يرتجف، وكأنه قد احتواها بين ذراعيه بقوة بدل أن يلامس شفتيها فقط. . . لماذا له هذا التأثير عليها؟ هذا الرجل الذي تكره؟ هذا الرجل الذي سبب الألم بكل قسوة لأختها. . لقد قال لها «ألا يمكن أن تثقي بي؟» يا إلهي! من الأفضل لها أن تثق بحيّة رقطاء.

ورمت نفسها فوق السرير، توبخ نفسها على غباءها وضعفها. . ألم تتعلم شيئاً مما حدث لأختها؟ لقد كان يحاول التلاعب معها. . ولكنه أما أن قرر أنها لا تستاهل، وإما تذكر من هي. . الصحيفة التي ستكتب عنه. . ولا يريد أن يخاطر بأن تكشفه أمام الجميع كزير نساء!

وتوضح لها كل شيء الآن. . وبعد أن لم يعد يرمي بسحره عليها. . ولو لم تكن متعبة جداً لما تصرفت معه بتلك الطريقة السخيفة!

الأفضل أن تنسى أن هذا قد حدث. . . وأن تتأكد من أن لا يحدث مرة ثانية!

الفصل السادس

كان يوماً خريفياً رائعاً، وكان على وجه برناردو إبتسامة عندما جاء ليأخذ أليكسي عند التاسعة والنصف صباحاً، لزيارة باتريك.

ـ الطقس الرائع لا يزال صامداً. . وهذا أمر رائع للقطاف. وكل ما آمله أن يستمر ليومين أو ثلاثة بعد.

وأمضيا جزءاً كبيراً من الصباح مع باتريك وإيلسا في المستشفى، ولم يتركانهما إلا بعد أن وصل بيادرو متأسفاً لعدم وجوده في المنزل عندما حصل الحادث. والتقطت أليكسي للثلاثة صورة وهما يخرجان من غرفة العناية سعداء بتحسن صحة باتريك.

موعد برناردو مع خيّاطه ترك فريق الإعلانات مسروراً بالنتيجة. وبعد ذلك بفترة، وأثناء تناول الغداء، ألقى خطبة في نادٍ لكرة القدم في موضوع الحوافز، جذبت اهتمام أليكسي بقدر ما اجتذبت اهتمام فريق كرة القدم، على الرغم من أفكارها الخاصة عنه. بعد الظهر أخذها لزيارة اسطبلاته، حيث لم تستطع إلا أن تتأثر بتصرفاته المهتمة، وحبه الحقيقي للجياد.

على العموم. . كانت متأثرة تماماً بتصرفات برناردو وتعليقاته أينما ذهبا. وكان عليها أن تبقى عيناً ساهرة على مشاعرها حتى لا تفقد كراهيتها له، مذكرة نفسها بعناد، إنه إنما يحذر في أي تصرف أو كلمة يقولها كي يظهر لها جانبه الآمن والعملي. ويبقى الجانب الآخر الجذاب، الذي

تعرف كل شيء عنه، مخفياً.

ووصلا إلى المنزل وقت العشاء، والتقى الجميع على المائدة. . برناردو وشقيقته وزوجها وهي. . وأنيتا تروح وتجيء من وإلى المطبخ. وسأله صهره كارلوس:

ـ كيف حالك أنت وباميلا؟

ـ ليس هناك من تقدم. . ولكنني لا زلت آمل.

ونظر إلى عيني أليكسي:

ـ لا أريد ذكر باميلا. . هل فهمتي؟ على الأقل ليس قبل أن أعطيك الأذن.

أي ليس قبل أن توافق باميلا؟ على ماذا يا ترى؟ على الزواج؟ على علاقة؟

ولاحظت إنه لا يزال يحدق بها. . فتمالكت نفسها بصعوبة، وبدأت تطرح أسئلة على إيڤون حول الأنشطة اليومية للمعصرة.

بعد العشاء قالت إيڤون إنها تعبة وتريد النوم، وقال كارلوس أن لديه عملاً يقوم به، واعتذر منها برناردو بأنه يريد مراجعة بريده في مكتبه. فقالت له:

ـ هل تمانع أن أدخل معك وألتقط لك صوراً وأنت وراء طاولتك؟

فهز كتفيه بعدم اكتراث. . وبعدها، وبينما تستعد لتصوره في مكتبه سألها فجأة:

ـ هل تقبلين بمهمات بعيدة عن بلدك دائماً يا أليكسندرا؟

وخفق قلبها. . هل هذا بداية استجواب؟

ـ هذا لا يحصل غالباً. وربما يحدث لي هذا لأنني ألتقط صوراً رائعة إضافة إلى كتابة معقولة.

- الا يمانع صديقك الحبيب في سفرك؟
- صديقي؟
- لن تقولي لي أن لا حبيب لك؟
- لا . . في الواقع . . . .

لماذا يريد أن يعرف؟ أيريد أن يبدأ زحفه نحوها؟ واقشعرّ شعرها. . لا تكوني حمقاء. . فهو لن يحاول شيئاً هنا. وخاصة أن الكاميرا مصوبة عليه ودفتر ملاحظاتك بيدك.

وقال لها ولمعان الدعابة في عينيه:
- الست متأكدة؟
- هناك صديق أخرج معه. . . أحياناً. في بعض المناسبات.
- بعض المناسبات فقط. تبدو علاقة واهنة العزم. أليس هناك شيء آخر فيها.
- بل هناك الكثير في العلاقات غير ما تفكر به.
- اوه. . أوفقك الرأي. . ولكن لا يبدو أنك تتمتعين بهذا من. . ماذا قلتي أسمه؟
- لم أقل إسمه. . انظر. . أنا مَن مِن المفروض أن أطرح الأسئلة. وماذا عنك برناردو؟ هل لديك علاقة مميزة في هذه اللحظات؟

وأخذت نفسها تصرخ بصمت. . أخبرني عن باميلا. . أخبرني عن علاقاتك الأخرى المميزة. . لو كنت تجرؤ! وسمعته يقول:
- كل علاقاتي. . مميزة.
- حتى علاقتك مع باميلا؟
وبدا في عينيه سخرية خضراء عميقة.
- اوه. . إنها مميزة حقاً!

- بأية طريقة؟
- بكل الطرق. هل ستلتقطين الصور أم لا؟
- أتعني بهذه البسمة السخيفة على وجهك؟
ورفعت الكاميرا، فمد يده وهو يضحك ليوقفها.
- اوكي. . اوكي. . لا تضيعي الفيلم هباء. . انتظري حتى أبدأ العمل. هل انتهى وقت الأسئلة؟

واشتهت أن تمسح هذه الإبتسامة الخبيثة عن وجهه، فسألته بخشونة:
- وماذا عن علاقتك بسكرتيرتك مارلين؟ أليس هذا أسمها؟ هل هي مميزة أيضاً؟
- بالطبع. . وأتمنى أن لا تقفزي للتمسك باستنتاجات خاطئة يا أليكسي، فكل الصحافيين لديهم هذه العادة. .
- لن أستنتج شيئاً. . أؤكد لك. قلت لك أن مقالي سيكون. . . دقيقاً جداً. وكل ما سأكتبه سيكون أساسه الحقيقة المطلقة.
- هل لي أن أذكّرك أليكسندرا. . أن مقالك سيكون عن أسبوع من حياتي العادية. . وليس استجوابات عن علاقاتي الغرامية.
وتنفست نفساً عميقاً للهجته الباردة وقالت:
- سيكون القراء مهتمون بنوعية الرجل الذي سيقرأون عنه، وليس فقط ما يعمله. . ولكنني أعدك أنني لن أحمّل مقالي أي تخمينات لا أساس لها. لقد سبق وقلت لك! أنا أتعامل مع الوقائع!
وارتفع فكه بعجرفة:
- أكتبي عني كما ترينني فقط.
- اوه. . سأفعل.
إنه واثق من نفسه! وكم من السعادة ستشعر عندما تخفض من ا رتفاع

هذا الأنف قليلاً! لو إنه يعرف ما تعرف عنه لما بدا بهذه العجرفة! وسألته:

ـ هل يمكن أن أسجل هذه المحادثة؟

فتنهد:

ـ بإمكانك تسجيل أي شيء تريدينه.. فكل الصحافيين يفعلون هذا بغض النظر عن كل تأكيداتهم بالعكس.

سخريته الحادة استدعت إنكاراً سريعاً:

ـ أنا لست هكذا. فإذا وعدت شيئاً التزم به. لقد طلبت مني عدم ذكر باميلا.. على الأقل ليس بعد.. وهكذا لن أذكرها. ولكن هل لي أن أسأل إذا كنت تتوقع أي تطور في الأيام القادمة؟

ـ أتعني في الوقت الذي ستكونين فيه هنا؟ ربما.. وأعدك إذا حصل أي تطور، ستكوني أول من يعرف.

فتنهدت وهزت رأسها:

ـ لا عجب أن هناك العديد من الشائعات تدور من حولك. وأعرف الآن كيد تبدأ. أنت من تثيرها بنفسك، بأن ترمي هنا وهناك تلميحات فارغة وتبقى نفسك متحفظاً وغامضاً.

ـ وهل أنا هكذا فعلاً؟ لا بد أن هذا، رد فعل تلقائي عندما أكون على مقربة من الصحافيين. أنظري هل نتوقف عن هذا ونبدأ من جديد؟ كلانا يريد أن يكون هذا المقال دقيقاً، هذا حسب كلماتك. وأعدك أن أنتبه لما أقوله في المستقبل.

ـ أفضل أن تكون منفتحاً وصادقاً.

ـ سأحاول.. هيا أطلقي سؤالك الأول.

ـ هل صحيح أنك كنت متورط عاطفياً مع البزابيت برايس بينما كانت هنا؟

وتصلّب وجه برناردو:

ـ وأين سمعت هذا الأمر؟

ـ الأخبار تنتشر.. وكلاكما تحت الأضواء العامة. ربما ورد هـذا في مقالات الشائعات.. لا أذكر.

وانعقد حاجباه:

ـ لا يجب أن تصدقي كل ما يذكر في هذه المقالات أليكسندر. لا يمكن لرجل أن يُرى مع إمرأة حتى يقفز سمك القرش إلى الإستنتاج... متورط عاطفياً! يمكنك تسجيل ما سأقوله بالحرف أليكسندرا بوردوم. لم أكن متورطاً أبداً وبجدية مع اليزابيت برايس.. والقضية أغلقت.

وعيناه قالتا لها إنه يعني ما يقول.

إنه يعترف بالتورط، ولكن بأنها لم تكن جدية إطلاقاً. وتحركت اليكسي بغضب نحو النافذة وسألته بصوت مرتجف:

ـ هل تمانع بأن أفتح الستائر؟ سوف يوفر هـذا خلفية أفضل لصورتي التالية.

وهي تلتفت لتستعيد كاميرتها لاحظت أن برناردو يخرج مفتاحاً من مكان خفي في طاولته ليفتح أحد الأدراج فيها.. وكتمت أنفاسها وهي تشاهده وقد أخرج مفكرة جلدية وفتحها.. هل هي دفتر تسجيل مواعيده؟ أم.. هي مفكرته الخاصة؟

وهمس صوت مرير في أذنها، هل كان حقاً غير أخلاقي في معاملته لشقيقتك؟ وما هو الأخلاقي في التظاهر بحب فتاة وطلب يدها، ثم، وبكل برودة دم، معاشرة إمرأة أخرى كلاهما ضيف في بيته؟

ماذا لو سجل كل شيء في مفكرته.. كل التفاصيل، وربما تفاصيل عن نساء آخريات آذاهن وخانهن بنفس الطريقة؟

ولكنها لن تذكر أي شيء عنهن، ولا عن شقيقتها في المقال! فكلهن ضحاياه البريئات.. وهي تريد فقط أن تفضحه لوحده!

كانت نصف نائمة عندما سمعت صوت باب يغلق.. لا بد أنه قرر أخيراً أن يخلد إلى فراشه. وأخذ قلبها يخفق كالطبول.. هل ستجرؤ على أن تفعل ما تفكر به؟

وخرجت من دفء الفراش، وارتدت روبها وخفها وسارت على أطراف أصابعها نحو الباب، وفتحته بهدوء ونظرت إلى الخارج. فتسللت والقمر يضيء طريقها، إلى مكتب برناردو، وهي تحس بعيني الأشخاص في الصور المعلقة ترمقها.

وفتحت باب المكتب. كانت الغرفة مظلمة ما عدا ضوء القمر. ولم يكن هناك أثر للمفكرة على الطاولة. ولكنها تعرف أين هي.

ومدت يدها إلى حيث يخبيء المفتاح.. وتملكها رعب مما تفعل.. فسحبت يدها. لا تستطيع أن تفعل هذا. ووقفت لحظات تمسك بصدرها تحاول التقاط أنفاسها، وقد روّعها ما كانت ستفعل!

واستوت في وقفتها وتراجعت عن الطاولة.. وفي تلك اللحظة بالذات سمعت مقبض الباب يتحرك من خلفها، فاستدارت شاهقة لترى برناردو يقف بالباب:

ـ ألكسندرا! ماذا تفعلين هنا؟

كان يحمل في يده كتاباً. لا بد إنه دخل المكتبة المقابلة لمكتبه ليحضر شيئاً يقرأه، فلاحظ الضوء من تحت الباب. وتابع:

ـ هل تبحثين عن شيء؟

ـ كان ينظر إليها ببرود وقسوة، ولم تستطع لومه على هذا! وأخذت تتلو في نفسها صلاة شكر لله لأنها غيرت رأيها ولم تفتح الدرج لتأخذ

المذكرات. وقالت:

ـ أجل.. لقد أتيت أبحث عن الفيلم الذي صورته هنا وأخرجته من الكاميرا. أظن أنني تركته هنا في مكان ما.

ـ ألم يمكنك الإنتظار حتى الصباح؟ ولست أرى أي فيلم هنا!

من الواضح إنه لم يصدقها، فتحركت نحو الكرسي الذي كانت تجلس عليه...

ـ لا بد إنه في مكان ما هنا...

وأخذت تفتش، ثم ركعت على ركبتيها وتحسست تحت المقعد:

ـ آه.. ها هو!

وأطبقت أصابعها فوق الفيلم الذي كان بُعد نظرها قد دفعها لتركه هناك قبل أن تصعد إلى غرفتها. وابتسمت وهي تأمل أن لا يكون وجهها محمراً بالقدر الذي تحس به.

وفي نفس الوقت أحست بوضعها المقلق، فقد انفتح الروب ليكشف تفاصيل جسدها من فوق غلالة النوم. وسارعت باضطراب لتمسك بأطرافه وتشده على جسدها. وقالت:

ـ أنا.. أنا آسفة لأزعاجك.. عمت مساء برناردو!

وصاح صوت داخلي.. يا إلهي لا تجعله يخمن السبب الحقيقي لوجودها هناك.. لا تريده أن يعتقد بأنها يمكن أن تنحدر إلى ذلك المستوى. ولم تعد واثقة لماذا يهمها كثيراً رأيه الجيد بها. هل هذا عائد لخوفها من أن يطردها قبل إنهاء مهمتها؟ أم أن هناك شيء آخر..؟ لا.. هذه سخافة! إنها لا تهتم برأيه فيها!

عندما نزلت في الصباح لتناول الفطار وجدت إنه تناول فطاره وخرج ليتفقد سير العمل في الكروم والمعصرة. دون أن ينتظرها! وازدردت

الفطار، ثم أمسك بدفتر الملاحظات والكاميرا وركضت إلى الخارج، في نفس الوقت لخروج برناردو من أحد الأقبية.

وغمرها الارتياح عندما حياها مبتسماً. وهزت رأسها وأعادت الإبتسامة له وسألته:

ـ هل تمانع أن ألحق بك أينما ذهبت؟

ـ وهل لدي خيار آخر؟ كنت أتفحص سير العمل قبل أن أبدأ عملي اليومي. تعالي معي في تجوالي على مزارع الكرمة، وتحدثي مع القطافين..

كانت عيناه تلمعان بشكل ودت معه أن تشاركه حماسه.. ورفعت الكاميرا والتقطت صورة له. مهما كان رأيها فيه كإنسان، فهو كرجل يملك جاذبية تخطف القلوب.

وقال لها:

ـ يبدأ القطافون العمل عند السابعة والنصف كل صباح وينهون عملهم عند الرابعة.. والعمال المحليون يذهبون إلى بيوتهم كل مساء والباقي يعيش في سيارات مقطورة أو مع أصدقاء لهم. وهم يحضرون معهم الغذاء ويتناولونه تحت ظل الأشجار.

عرائش العنب كانت تمتد صفوفاً مورقة خضراء، يلمع لونها تحت السماء الصافية الزرقاء والشمس الساطعة، وأطراف عناقيد العنب الصفراء تلمع كالذهب من بين الأغصان. وتوقف عند إمرأة ترتدي قبعة حمراء وحياها، ثم تابع طريقه، ولحقت به أليكسي وهو ينتقل من مكان إلى مكان، وصورته وهو يتحدث إلى المرأة.

وكلما تحرك برناردو كانت تلحق به.. ولاحظت حركة ما وراء عرائش الكرمة في الجانب الآخر، خلف الستائر الخضراء.. وصدرت ضحكة

ناعمة من هناك تبقها ضحكة أخرى خشنة.. وللحظات أحست بشعور بعيد عن أي زمن، فتوقفت متنهدة وهي تحس برضى غريب.. أية فتاة يمكن لها أن تحب هذا المكان.

وسمعت صوت برناردو العميق يرن في أذنها:

ـ أليكسندرا تعالي وانظري إلى هذا...

وعادت إلى الواقع، وبتنهيدة عميقة توجهت لتنضم إليه.. وعلى وجهها قناع جامد.

الفصل السابع

التقت أليكسي بسكرتيرة برناردو، مارلين، لأول مرة في نفس ذلك الصباح في مكتبه. ثم مرة ثانية خلال غداء عادي على الشرفة المغطاة بالعرائش في مؤخرة «الشاتو» مع إيفون وكارلوس وعضو آخر من موظفي مكتبه. ولورين فتاة طويلة رياضية، حمراء الشعر لها إبتسامة جاهزة دائماً وعينان زرقاوان راقصتان، وكانت وبرناردو على إلفة مميزة سهلة مما دعا أليكسي للتساؤل ثانية عما إذا كانت علاقتهما أوثق من علاقة مخدوم بسكرتيرته.

وقال برناردو بعد أن غادر الجميع مائدة الغداء.

ـ أليكسندرا.. أتوقع زائراً في وقت قريب من «المؤسسة الوطنية لخبراء زراعة الكرمة» وسألتقيه في مكتبي.. وستكون مناقشاتنا سرية. أذكري اللقاء إذا شئت، ولكن أفضل أن تتركينا لوحدنا وهو هنا.

ـ بكل تأكيد.

ـ على كل سيمنحك هذا فرصة لأراحة قدميك وقراءة كتاب أو كتابة رسالة أو ما شئت.

ـ وهل تسمح لي بمساعدة إيفون في غرفة التعبئة؟ لقد بدت تعبة وقت الغداء، وبالكاد أكلت شيئاً. ثم هرعت بعد عدة دقائق إلى العمل بسبب وصول باصات محملة بالسياح. ربما استطعت مساعدتها لفترة...

وللمحات لاحظت لمعان شك في عينيه، وكأنه يرتاب بأن تكون هذه الدعوة مؤامرة لأستجواب إيفون عنه في وقت يكون هو بعيداً عنهما. ثم قال أخيراً:

ـ أنا واثق أنها ستقدّر لك هذا، وسأنضم إليكما بعد ذهاب الضيف.

وقدّرت إيفون عرض أليكسي بالمساعدة بسرور، حتى أنها عانقتها بارتياح. واسترسلت أليكسي بما أوكلتها إيفون فعله حتى أنها لم تلاحظ كم مرّ من وقت إلى أن شاهدت برناردو أمامها. وشهقت لدى إمساكه بذراعها:

ـ برناردو.. لم أرك قادماً! كم لك من وقت بانتظاري؟

ـ لم أكن بانتظارك.. بل كنت أراقبك، وأعتقد أنني سأعرض عليك وظيفة!

وأحست بنفسها تحمر خجلاً:

ـ لقد تمتعت بالعمل. آخر باص سياح على وشك الرحيل.. هل أتابع عملي أم.. أجيء معك؟

ـ سأبقى معكم للمساعدة.. ليس هناك عمل ضاغط في المكتب.. ومارلين تعرف أين أنا لو جدّ شيء.

واستعادت أليكسي كاميرتها وأخذت تلتقط الصور لبرناردو وهو يعمل مع الزوار والسواح. وحتى تلك اللحظات كانت قد نسيت السبب الحقيقي لمجيئها إلى «شاتو بريغادينو»!

«أسبوع في حياة برناردو بريغادينو» كانت تنقلب إلى اهتمام شخصي لها. وسمعت نفسها تتمتم:

ـ كيف تستطيع الأستمرار بهذا النشاط أسبوعاً بعد أسبوع؟ يبدو أنك لا تتوقف أبداً عن العمل.

وهز كتفيه وهو يجيب:

ـ العمل يكون محموماً عادة وقت القطاف.. وهذا زمن العمل لكل السنة

ـ وماذا عن سفراتك إلى الخارج وفي داخل البلاد؟. لا بد أنها تأخذ الكثير من وقتك؟

ـ أحب أن أبقى مشغولاً. فأنا أتمتع بالعمل.

ـ ألهذا لم تتزوج بعد؟ لأنك دائم الترحال؟ ولأن الزواج قد يربطك؟ ولأنك تخشى أن يكون طراز حياتك المحموم غير منصف لزوجة؟ وأنها قد تشعر في النهاية بأنك تهجرها؟

السؤال جلب بسمة شاحبة على فمه:

ـ أنت مخطئة في كل هذا. فلو كان لي زوجة فسأتأكد بأن لا تشعر بالهجران أبداً. لقد قلت لك من قبل: لم أتزوج لأنني حتى الآن لم أقابل إمرأة أرغب في أن تشاركني حياتي.

وتساءلت في نفسها: وهل نسيت اليزابيت بهذه السرعة؟

ـ ولكنك تسعد في مشاركة فراشك معهن!

وشهقت بحدة بعد أن خرج الإتهام من فمها دون وعي.. ولكنها لم تسحبه، وقابلت عيناه بثبات.. وانتظرت الإنفجار.. ولكن لم يحدث شيء.

ـ أجل.. ولمَ لا؟ فأنا لم ينقصني أبداً الشريكة الراغبة. وكلهن كن يعرفن النظام... ولم أدّع أبداً أن هذا قد يقود إلى أي شروط على المدى الطويل.

وحاولت السيطرة على غضبها المتصاعد.. وسألته:

ـ ألم تتوقع أي واحدة منهن المزيد منك؟

ـ بعضهن يمكن أن يكن أملن بالمزيد، ولكنني لم أقد أي منهن إلى هذا الإعتقاد. ولم أعد أبداً بما لا أنوي أن أحققه.

الكذاب المتعجرف النذل!.. وأطلقت سؤالاً آخر:

ـ ألم تطلب يد أحد منهن للزواج.. ثم أعدت التفكير ثانية؟

ـ ولماذا تسألين سؤالاً كهذا؟

ـ مجرد.. تأكيد.. محاولة للحصول على وقائع.

ـ آه.. الوقائع.. تريدين أن تكون دقيقة. أليس كذلك؟ حسناً خذي هذه المعلومات يا ملاحقة إخباري المجتهدة: لم أفكر أبداً مرة أخرى بأي عرض تقدمت به لامرأة لأنني بكل بساطة لم أعرض شيئاً على أي منهن.. مهما كان يبدو هذا لا يصدق لك أو للعالم عموماً. حتى أنني لم أقترب مطلقاً من هذه النقطة.. أفهمتي؟

ـ فهمت!

لا.. برناردو يكذب.. لا بد أنه يكذب! فلماذا إذن يرفض الكلام عن اليزابيت برايس؟ ولماذا تتجنب عائلته الحديث عنها؟ وبقدر ما أرادت أن تثق به وتصدقه تساءلت كيف لها أن تفعل؟

ولأن الأمسية كانت دافئة، تناولت العائلة العشاء في الهواء الطلق على «التراس» المغطى بالعرائش الذي تناولوا الغداء عليه. وكالعادة كانت الكرمة والقطاف والتصنيع المادة الرئيسية للحديث. بعد العشاء قال برناردو لشقيقته:

ـ هل لديك دقيقة فراغ؟ أريد بحث بعض الأمور المتعلقة بمبيعاتنا معك.

ـ بالتأكيد..

وقال كارلوس وهو يبتعد:

ـ سأكون في المختبر.

ولاحقته أليكسي بنظرها.. هل هذه هي فرصتها للحديث معه؟ وسألت برناردو:

ـ أهناك مانع في أن أخرج لأتمشى في الهواء الطلق.

ـ ولِمَ لا؟ تستحقين بعض الراحة.

وسارت في الظلام الهادىء، متجهة نحو مبنى المختبر حيث يعمل كارلوس.

ـ مرحباً..

ورفع كارلوس رأسه بدهشة وهي تدخل رأسها داخل الباب.

ـ أنا آسفة.. هل تسمح لي بالدخول؟

ـ آه طبعاً.. ماذا جاء بك إلى هنا أليكسندرا.؟

وترك مقعده وتقدم ليقف معها متابعاً:

ـ أستطيع التفكير بأمكنة أكثر إثارة لفتاة لتقضي أمسيتها فيها بدل هذا المختبر الوسخ.

ـ لقد أتيت لرؤيتك.

وأشار إلى كرسي لتجلس عليها وقال:

ـ أنا لست معتاداً على السيدات الجميلات يأتين لزيارة كارلوس العجوز في صومعته.

ـ وماذا تعني بالعجوز؟ ولا أصدق أن السيدات الجميلات لا يأتين لزيارتك أبداً. ألم تزرك اليزابيت برايس أثناء إقامتها هنا؟

ـ اليزابيت برايس؟ وماذا يجعلك تظنين أن نجمة سينما قد تكون مهتمة بي أو بمختبري؟

ـ حسناً، لقد علمت أنها وبرناردو كانا... قريبان لبعض الوقت. وبما أنك صهر برناردو.. ما كان رأيك بها؟

ورد كارلوس بصراحة:

ـ أظنها كانت رائعة الجمال. عيناها! لا عجب..

وتوقف عن الكلام.. فأكملت أليكسي الجملة عنه:

ـ لا عجب أن وقع برناردو بغرامها.

ـ حسناً لم يندهش أحد عندما.. أنظري لم يكن في الأمر شيء. ولا شيء بقي. كان ذلك مجرد..

وتلاشى صوته وهو ينظر نحو الباب.. وسمعت هي أيضاً، وقع خطوات ثقيلة.. اوه.. لا... لا يمكن أن يكون برناردو..! ووقفت:

ـ الأفضل أن لا أمكث هنا طويلاً.

هل سيخبر برناردو يا ترى أنها كانت تسأل أسئلة حوله وحول اليزابيت؟

وتقدمت من طاولة المختبر حيث وجدت عدة زجاجات وأنابيب فارغة فمدت يدها تفحصها متظاهرة بالاهتمام، وفي تلك اللحظة فتح الباب:

ـ أليكسندرا! ماذا تفعلين هنا؟

ونظر إلى كارلوس مقطباً، وكأنما أدرك أنها جاءت إلى هنا لاستجوابه. فتقدمت خطوة نحوه:

ـ لم أكن أظن أنك قد تمانع في مجيىء إلى هنا لأحييه. كارلوس كان لطيفاً معي.. ولكنني كنت ذاهبة لتوي.

وهز رأسه باقتضاب وكأنه يأمرها بالإنصراف؛ وقال بلهجة حادة:

ـ أريد التحدث إلى كارلوس.. بإمكانك الذهاب.

اللعنة! اللعنة اللعنة! لماذا تسرعت وأمطرت كارلوس بتلك الأسئلة! لماذا لم تصرف وقتاً أطول لنيل ثقته؟ هو وزوجته.. ماذا لو تركتهما يفتحان الموضوع بأنفسهما؟

وكان القمر الكامل يرتفع في السماء وهي تعود إلى «الشاتو» وحرك النسيم العليل أوراق الشجر فوق رأسها.. ومن مكان مرتفع فوق الأشجار، سمعت نعيق بومة مزعج.

وتقريباً دون وعي منها.. توجهت قدماها نحو اليمين.. ووجدت نفسها بين صفوف عرائش العنب.. السير تحت ضوء القمر قد يهدئ تفكيرها ويساعدها على النوم.

وتصاعدت رائحة العنب الناضج من العرائش، وتصاعدت في الهواء رائحة أخرى.. رائحة الأرض وأوراق الشجر.. وامتدت أمامها صفوف الكرمة، مختفية في النور الخفيف المنبعث من القمر الذي لم يرتفع نهائياً بعد.. وإلى الغرب كانت العواميد ترتفع وكأنها سوداء اللون تجاه السماء المضاءة بنور شاحب.

واستمرت في سيرها إلى أن وصلت إلى البحيرة الإصطناعية.. وكانت الأمسية دافئة بشكل لذيذ. واحدة من أمسيات أوائل الخريف المنعشة التي يفكر فيها أهل الوادي على ضوء كم تحسّن موسم القطاف. ولكن بالنسبة لها كانت نادرة وجميلة..

وفي نزوة فجائية، خلعت بلوزتها ثم تنورتها، وبنظرة سريعة من حولها أكملت خلع ما تبقى. وانخفضت ببطء في الماء ثم مددت جسدها، أصابعها لا تكاد تلمس القعر. وأحست وكأن ضوء القمر ينهمر كشلال من السماء، وأخذت الماء تضرب جانبيها وهي تتحرك ببطء وصمت ملتزمة الشاطيء.

ـ أمسية رائعة للغطس!

واتسعت عيناها من الرعب، وكاد رأسها ينخلع من بين كتفيها وهي تلتفت.. لو أنها تموت! ووقف طيف طويل عند حافة البحيرة.. ويداه على وسطه، وشفتاه منفرجتان، وأسنانه البيضاء تلمع من بينهما..

برناردو! برناردو بريغادينو.. من بين كل الناس!

ـ إذ... إذهب من هنا.. لقد.. لقد ظننت أن لا أحد هنا.... منذ متى أنت هنا؟

وضحك دون أن يتحرك أو يتأثر بكلامها.. فقالت بلهجة تحذير:

ـ برناردو...!

ـ قالت لي أنيتا أنك لم تعودي إلى المنزل.. فأتيت أبحث عنك.

ـ أر.. أرجوك برناردو.. أريد الخروج من الماء.

ـ هل أحضر لك منشفتك؟ أم أنك لم تحضري معك منشفة؟

ـ لا.. أعني.. اوه.. إذهب من هنا برناردو أرجوك!

وبدأت تشعر بالبرد، وبوخز بارد ينتشر فوق بشرتها. ولكنها شعرت بوجهها يلتهب. لا بد أنه يظنها مستهترة! وكيف يتعامل مع إمرأة مستهترة؟

ـ برناردو.. ما كنت أبداً ل..

وسكتت، إنها تعقد الأمور أكثر، وحاولت من جديد!

ـ بدت لي الماء مغرية حتى أنني قف.. قفزت إليها دون تفكير!

وخلع قميصه ورماه على بعد قريب منها:

ـ هاك، غطي نفسك به، ثم ارتدي ملابسك.. سأدير ظهري.

ـ شك.. شكراً لك.. ولك.. ولكن أفضّل لو تذ.. تذهب.

ـ وماذا يحدث لو جاء شخص غيري؟ قد لا يكون متسامحاً مثلي.. أو رجل مهذب هكذا.

الطريقة الساخرة التي تلفظ بها بكلمة «رجل مهذب» بدت خطيرة وكأنها تعني العكس تماماً. وقال لها وكأنه يتكارم عليها:

ـ سأراقب المكان لك.. هل خرجت؟

ـ لا.. لم أخرج.. لا تنظر إلى خلفك!

وكانت تمد يدها إلى القميص على الشاطيء، تراقبه بقلق وهي تخرج

من الماء. ولفّت القميص دون ربط من حولها. وتقدمت نحو ملابسها، فاختطفتها وركضت إلى مخبأ بين العرائش.

وجففت جسدها بقميص برناردو بسرعة وذعر ثم ارتدت «صندالها» وهي محتارة بين أن تنفجر في قهقهات هستيرية يائسة أم تهرب لتنجو بنفسها. ولكنها، وبأصابع مرتجفة ارتدت ثيابها الداخلية.. وسمعت صوته من خلف العرائش:

ـ هل أنهيت ارتداء ملابسك؟

ـ تقـ.. تقريباً.. ليس بعد!

واندست في تنورتها ثم وضعت بلوزتها على جسدها وبصعوبة استطاعت تزريرها.

ـ هل أستطيع مساعدتك؟

والتقطت أنفاسها، ورأسها يستدير حولها في كل ناحية، وساقاها تهددان بالإنهيار تحتها. كان يقف على بعد ذراع منها.. الشيطان! إنه لن ينتظر..

ولم تستطع التفكير أكثر من هذا، فهي غير واثقة من نفسها أن لا تجهر بأفكارها. وتابعت مرتجفة بإنهاء ما كانت تفعله، ولكنها أحست بيدين تطبقان على أصابعها المرتجفة:

ـ أنت بردانة.. دعيني أزرر القميص عنك.

وجمدت يدها تحت لمسته. ولم تكن قادرة على المقاومة، ولا على الأبتعاد، وحتى عندما، وبدلاً من تزرير البلوزة، دس يداه في مقدمة البلوزة. وخفق قلبها للمسات أصابعه وتسارع تنفسها، وتحول جسدها البارد إلى كتلة من نار. وقال لها بصوت أجش:

ـ بشرتك ناعمة جداً أليكسندرا.. وجسدك.. فاتن.. إنه ببياض القمر.

وتصلبت بين ذراعيه، وهمست بذعر:

ـ وهل رأيتني؟

ولكنها لم تبتعد عنه، فهي لن تستطيع. فلمسة يده على بشرتها الملتهبة أصابتها بالشلل.

ـ هل رأيتك؟ وهل يهم الأمر؟

وتابعت أصابعه في مداعبتها. وهمس:

ـ دعيني أراك الآن، أليكسندرا!.. كما كنت قبل قليل.. لا تخافي. لن أؤذيك، أعدك..

كلمة «أؤذيك» دقت ناقوس الخطر في دماغها. وبرعب، لاحظت الرغبة العميقة في عينيه.. ماذا تفعل.. أتقف هكذا بين ذراعي الرجل الذي آذى شقيقتها؟ تلك المسكينة التي أحبته ووثقت به، والتي قد تكون رأت نفس هذه النظرة على وجهه، وأحست بنفس اليدين على جسدها، وسمعت نفس الكلمات!

ـ توقف!

وحاولت تحرير نفسها، ولكن يده على ظهرها منعتها من الحركة. فقالت:

ـ برناردو.. أعني ما أقول.. أتركني أرجوك!

وجمدت أصابعه فوق بشرتها العارية، ونظر في عينيها.. وببطء سحب يده، وحلت مكان الرغبة في عينيه نظرة غريبة.. وأخفض يده عن ظهرها، ودون أن ينبث بكلمة بدأ يزرر لها البلوزة. وقال بعد أن انتهى:

ـ أليكسندرا.. أنا آسف.. كان علي أن أعرف أنك مختلفة. وأنك لم تكوني تثيريني متعمدة. أتسامحيني؟

وهزت رأسها بصمت. واستدارت عنه بسرعة، غير راغبة في أن يقرأ أحاسيسها على وجهها. تسامحه؟ اوه يا إليزابيث.. سامحيني! لقد جئت

إلى هنا لأودي عملاً . . لأفضح برناردو بريغادينو لما فعله بك وبالأخريات، لا لأقع بضعف تحت سحره!

وبدأت تسير مبتعدة، تنقل خطوتها دون وعي، وقالت:

ـ كانت غلطتي . . لست أدري ما دهاني .

ولحق بها، كان يحمل قميصه المجعد في يد، وصدره العاري يلمع تحت نور القمر. قربه منها أرسل موجات إضافية من الصدمة فيها.

ـ ما دهاك يا أليكسندرا رد فعل طبيعي لأمسيات شمالي اسبانيا المنعشة . . وكنت أنا من بالغ ببرودة الفعل . . أنا . . . لا أكن لك سوى الاحترام يا أليكسندرا . . صدقيني. أنا لست أقول لك أن تنسي ما حدث . . ليس بالكامل. أنت إمرأة جميلة ويجب على أي رجل أن يكون من حجر كي لا يتأثر بمنظر . . كل ما أقوله هو أنني كنت أتمنى لو أنني كنت أقل خبلاً مما فعلت.

ـ لننسى الأمر.

وتنهدت . . لقد تذكر برناردو بريغادينو في الوقت المناسب من هو . . الرأس المتنفذ القوي في «قصر ريغادينو» . . ومن هي . . مجرد صحافية تقوم بمهمة عنده، وقريباً ستذهب في طريقها.

ـ كم مؤسف أن الكاميرا لم تكن معك، لكان هذا منظراً رائعاً لمقالتك!

واعتمر الغضب مع روح الدعابة في نفسها . . وانتصرت روح الدعابة، فابتسمت، وقالت:

ـ لا تقلق، فما حصل خارج عن الموضوع تماماً.

ـ أظنه قرار حكيم.

لماذا جاء ليبحث عنها أساساً؟ وسألته بطريقة عملية:

ـ قلت أنك كنت تبحث عني .

ـ أجل . . كنت أبحث عنك. أردت الأعتذار . أظن أنني كنت جافاً معك قبل قليل، في المختبر. كان تفكيري مشغولاً بشيء ما.

ـ أرجوك أن تنسي الأمر.

ـ في طريق عودتنا، أود أن أحضر زجاجة شراب من قبوي الخاص. هل ترغبين في الذهاب معي؟ أنت لم تشاهدي قبو العائلة الخاص بعد أليس كذلك؟

ـ لا . . لم أره بعد . . لا بأس.

لماذا تشعر بالقشعريرة تهبط من أعلى رقبتها إلى كامل جسدها؟ أم أن فكرة أن تكون لوحدها، وفي مكان منفرد، مع برناردو بريغادينو هي التي أثارتها؟

وتماثل أمامها وجه اليزابيت، وعيناها السوداوان الجميلتان متورمتان من الدموع. وشفتاها المرتجفتان تتلفظان بكلمات: «إحذري يا أليكسي . . إحذري هذا الرجل» . . .

العرائش على كلا الجانبين تمايلت متنهدة بتأثير النسيم . . وكأنها هي الأخرى تهمس لها بالتحذير. وأطلقت أليكسي تنهيدة. برناردو يبدو شريفاً ومحترماً في عدة طرق . . كيف يمكن أن يكون عامل اليزابيت بهذه الخساسة . . والقساوة؟

الفصل الثامن

لم يتكلم أي منهما وهما يقطعان الفناء المرصوف للجهة الجنوبية من «الشاتو». . ودفع برناردو أغصان اللبلاب جانباً وهو يقول:

ـ ها قد وصلنا.

وقاد الطريق نزولاً فوق درجات حجرية مغطاة بالطحلب. . وأخرج مفتاحاً من جيب بنطلونه. وفتح الباب الخشبي الضخم.

إنتظري هنا. . سأدخل أولاً لأضيء الأنوار.

وارتجفت أليكسي وهي تلحق به وأحست وكأنها انتقلت إلى العصور الوسطى. . وكأنها تدخل إلى زنزانة باهتة الإضاءة أو سراديب غريبة. وكانت للقناطر الحجرية السميكة والسقف المنخفض، والظلال الداكنة، تتلاعب مع براميل خشب السنديان وصفوف زجاجات الشراب المسنفة بكل عناية، مع وجود مصابيح منفردة تشكل الإضاءة الوحيدة هناك، لكل هذا تأثير بارد يبعث الرجفة في النفوس. والتقط القنديل اليدوي كي ينير لها الطريق أكثر:

ـ والآن. . إتبعيني.

وقادها إلى عمق القبو. ثم توقف عند شبه مغارة في الجدار والتفت إليها بابتسامة، بدت حتى على ضوء القنديل، ساحرة:

ـ أريد انتقاء بعض زجاجات الشراب لسهرة الغد. فشقيقي بيادرو

وزوجته ايفا وطفلتيهما الصاخبتين قادمون لقضاء ليلة معنا. . . وستكوني معنا على العشاء بالطبع.

ونظر إليها فأحست. . ليس بالنرفزة. . بل بالحياء. وأخفضت نظرها. . فقال لها:

ـ إذا كنت ستنظرين إلي هكذا يا أليكسندرا. . لن أتمكن أن أدعك وشأنك.

ومررت لسانها على شفتيها، فأضاف:

ـ يا للسماء يا أليكسندرا، من ماذا تظنيني مصنوع؟ كيف يمكن أن أدعك وشأنك وأنت تنظرين إلي هكذا؟ تعالي إلى هنا. . .

ولم تكن هذه دعوة. . ولا كانت طلباً. . فقد كان يجذبها إليه، وأخذ يمرر شفتيه على خدها. فأطلقت آهة خفيفة، أشعلته أكثر، ومرر أصابعه في شعرها، بينما لف ذراعه الأخرى حول خصرها، يضغطها إليه بطريقة جعلت الدماء تكاد تتفجر من عروقها.

وأحست بجسدها يضعف في رد فعل أصابها بالدوار تحت قوة قبلاته. مما أبعد عن تفكيرها أي فكرة بالإفلات من بين ذراعيه.

سماع طرق على الباب، ثم وقع خطوات ثقيلة جعلهما يفترقان. وأدار برناردو رأسه بحدة بعد أن اقتربت الأقدام منهما. ووقفت أليكسي ترتجف بقربه، غير متأكدة إذا ما كان يجب أن تشعر بالارتياح أم بالأسف.

ـ آه. . كارلوس. . هذا أنت؟

وبدت الدهشة على كارلوس:

ـ لم أكن أعتقد أنك لا زلت هنا. أم أنك لم تدخل رأساً بعد أن تركتني؟

ـ كنا ننتقي بعض النماذج. . سنأخذ هاتين. . وربما هذه. . إنها من

إنتاج 67..

ـ سأترككما تنتقيان.. لدي عمل آخر.

واختفى كارلوس في المنحنى الآخر للقبو. وسمعت أليكسي صوت باب بعيد يفتح، ثم آخر.

ـ إحملي هذه.. وسأحمل الأخريات.

ودون انتظار ردها أعطاها زجاجتين وحمل ما تبقى.. وقادها إلى مغارة أخرى في الجدار. حيث تذكرت، مأساة أختها الضائعة، فأخذت تحدق حولها بينما كان برناردو يختار المزيد من الزجاجات. إنها بحاجة إلى النزول إلى هنا ومعها قنديل كبير لتبحث على الأرض وفي الزوايا.. ولن تجدها دون نور كاف.

وتبعته يصعد سلماً قادهما باب في أعلاه إلى ردهة صغيرة قرب المطبخ داخل القصر، وأعطته الزجاجات التي كانت تحملها وشكرته لأنه أراها قبوه الخاص... وتركته متوجهة إلى غرفتها.

على الفطار، عند الصباح، حيتها إيفون بمودة أكثر، وكانت إبتسامة برناردو تحمل حرارة جعلتها تشعر بالدفء. وأدركت أنها سعيدة لوجودها هنا. لقد بدأت تحب عائلة برناردو وأفراد موظفيه، وستشعر بالأسف لمغادرة القصر. ورفع كارلوس رأسه من الجريدة وقال:

ـ هاي.. إسمعوا هذا.. ساندي يورك ويوري دايفد، بطلا الفيلم، أعلنا خطوبتهما!

ونظرت إيفون من فوق كتفه:

ـ حقاً؟ ما رأيك بهذا؟ ليس الأمر عجيباً نظراً لمدى افتتانهما ببعضهما وهما هنا.. حتى إنهما كانا يناما في نفس الغرفة.. لم تنم مرة في فراشها!

ونظر إليها زوجها:

ـ إيفون! ليس من المفترض أن نلاحظ مثل هذه الأمور.

ـ لا بأس من قول هذا بعد أن أصبحت علاقتهما شريفة! تصور يمكننا أن نقول أننا نحن من وفقنا بينهما.

بينما كان الحديث جارياً، كانت عينا أليكسي مثبتتان على وجه برناردو تبحثان عن أي إشارة قد تفضحه، لا شيء يمكن أن يشير إلى أن ساندي كانت تعبث من وراء ظهر حبيبها. وأحست بالحيرة وهزتها شكوك فجائية. لو أن ساندي ويوري لم يكونا يفترقان... فكيف سنحت لبرناردو فرصة الإختلاء بها؟ ولماذا رغب بها؟ ولماذا رغبت هي به في وقت كانت تجن حباً بيوري؟

ورفعت رأسها، وقد قررت بيأس أن تغامر، وقالت بلهجة مازحة:

ـ من المؤسف إنكما لم تستطيعا التوفيق بين اليزابيت برايس وبرناردو.

وساد الغرفة سكون فوري... وقالت إيفون أخيراً:

ـ أجل.. حسناً لا يمكن للمرء أن يكسب كل شيء.

وضحكت ثم تابعت الكلام مع زوجها بموضوع آخر.

وأحست أليكسي بالاحباط، فهي لن تستطيع قول المزيد دون أن تفضح نفسها. فهم مصممون على عدم التحدث عن علاقة برناردو باليزابيت وقال برناردو وهو يقف:

ـ لدي بضع مخابرات خارجية.. أعطني نصف ساعة أليكسندرا وسنذهب إلى البلدة لزيارة باتريك.

وهزت إيفون رأسها:

ـ لا حاجة لك لزيارته أنت تعلم أن بيادرو يزوره.

ـ اظن أن على كلينا أن نزوره متى استطعنا فباتريك رجل طيب. وهذا سيعطي إيلسا بعض العزاء. فليس لديهما عائلة هنا. وزملاءه مشغولون

بالقطاف والعصر. وعلي الذهاب إلى البلدة على كل الأحوال. فباميلا تريد رؤيتي.

وقررت أليكسي أن تبحث عن أنيتا، فهناك على الأقل شيء ما تستطيع فعله لشقيقتها: أن تجد لها الماسة!

ـ هل لديك مشعل كبير يا أنيتا؟

ـ مشعل.. لأجل ماذا؟

ـ أريد التفتيش في القبو عن قرط أضعته ليلة أمس.

ـ وهل يعلم السيد بريغادينو أنك ستذهبين إلى هناك؟

ـ لديه نصف ساعة عمل على الهاتف.. وسألقي نظرة هناك لأرى إذا كنت سأجده أم لا.

ـ حسناً. تعالي معي..

والتقطت مديرة المنزل مشعلاً عن الرف وأخرجت مفتاحاً من جيبها، وفتحت القبو وأضاءت الأنوار.. وقالت:

ـ لن تتأخري.. أليس كذلك؟

ـ سأعود لحظة أن أجده.

أين ستفتش أولاً؟ قد تكون الماسة في أي مكان!

وأخذت تدير المشعل إلى كل زاوية وهي تسير على أمل أن تلمع الماسة في الضوء، إذا كانت لا تزال هناك. وبعد لحظات وصلت إلى الباب الذي دخل منه كارلوس، ووجهت المشعل إلى الشقوق عند أسفله، ولمع شيء تحت قدميها، فانحنت تلتقطه:

ـ بينغو!..

ولم تصدق حظها وأمسكت الماسة عالياً تتفحصها. ولمعت الماسة الجميلة المألوفة لها في ضوء المشعل.. وأحست بالارتياح..

ثم.. ومن خلال العتمة والسكون دوي صوت عميق:

ـ يبدو أنك معتادة على التسلل إلى كل مكان في القصر عندما أتركك لوحدك يا أليكسندرا!

واستدارت بعنف:

ـ برناردو.. لقد أخفتني.. هل تتسلل هكذا دائماً وراء الناس؟

ـ فقط عندما أجد أحداً يتسلل بدوره.. فكل ما أعرفه أنك قد تكوني مقتحمة.

ـ ألم تقل لك أنيتا أنني هنا؟

ـ أنت محظوظة لأنني لم أستعمل هذه قبل أن أناديك!

ولوح لها بزجاجة فارغة، فلوحت له بالمشعل وقالت متحدية:

ـ وأنت محظوظ لأنني لم أستعمل هذا لأضربك فيه! فربما تكون أنت مقتحم أيضاً. ظننتك مشغولاً بمخابراتك الهاتفية.

ـ كنت مشغولاً.. ونتيجة لإحدى المخابرات دعوت رجل أعمال كندي وزوجته إلى العشاء غداً وجئت إلى هنا لأحضر زجاجات شراب إضافية.

ـ وأنا نزلت إلى هنا لأفتش عن قرط أضعته ليلة أمس. برناردو.. أنا آسفة إذا كنت أخطأت بنزولي إلى هنا.

ـ لا.. أبداً.. ولكنني أفضل مرة ثانية أن تنزلي إلى هنا برفقة أحد، فقد تنزلقين على السلم أو في الممرات المظلمة ولا يوجد أحد معك للمساعدة.

وكأنه يقول «إنزلي إلى هنا مرة ثانية وسوف يصيبك الأذى!» وقالت بخشونة:

ـ أنا آسفة.. سأتأكد في المستقبل أن لا أتخطى حدودي. وأقسم أنني نزلت إلى هنا لأجد هذه.

ومدت له يدها بماسة أختها، فأرجع رأسه إلى الوراء دون أن ينظر وأضافت بسخرية:

- لم أدرك بأنني سأفتح باب صندوق العجائب بدخولي إلى هنا!

هل أنت فاقد الثقة بكل من يقيم عندك هنا؟ وكيف استطعت تدبير أمورك عندما كان حشد كبير من الممثلين هنا؟

- أنا لا أصنفك من طبقتهم.

لقد كان على علاقة مع البطلتين اللتين كانتا هنا، فهل هذا ما يقصده من إنه لا يصنفها من طبقتهم؟

ونظر إلى عينيها متفحصاً. وقال بصوت خفيف:

- لست أدري إذا كنت حقاً صافية ومتفتحة كما تبدين. ؟ وليساعدك الله إذا لم تكوني هكذا!

وبدا وجهه متجهماً وخطراً في العتمة، وارتجفت للقساوة في صوته. وأحست بتزايد ضغط أصبعه على رقبتها فقالت:

- برناردو. هل لك أن تتركني من فضلك؟ أنت تتصرف بشكل غريب.. هل لك أن تفسر لي لماذا؟

- إذا كنت لا تعرفين عما أتحدث.. وكم أرجو الله أن لا تكوني.. إذن.. أعتذر.

وأنزل أصابعه عن رقبتها ليمررها على كتفيها، بينما عيناه تجولان على وجهها، وقال متمتماً:

- السماء تعلم إنني أريد أن أثق بك.

- اوه يا برناردو.. وأنا أيضاً أريدك أن تثق بي! و.. وأنا أريد أن أثق بك!

- يا إلهي يا أليكسندرا.. لو أنك فقط تعلمين..

وضاع ما تبقى من كلامه بعد أن دفن شفتاه في شعرها وأطبقت ذراعاه عليها، وسحقها إليه، يضغط وجهها على صدره. وتحت قماش قميصه استطاعت سماع ضربات قلبه وتشعر بحرارة جسده. وتصاعد التجاوب في داخلها كاللهب. وهمس في أذنها:

- أليكسندرا.. أنا آسف.. أنا أثق بك.. أغفري لي!

وأحست بأصابعه تحت ذقنها، لمسته كانت كشحنة كهرباء فوق بشرتها الناعمة. وأخفض رأسه ليمرر سلسلة من القبل على شعرها ثم هبط بشفتيه إلى خدها ثم... وأحست بالضعف ورفعت ذراعاها إلى ظهره.. فوقع المشعل من يدها.

صوت اصطدام المشعل المعدني بالأرض كان كالانفجارات وسط السكون. مما هزها وأعادها إلى الواقع. وجذبت نفسها عنه.. والتفتت مبتعدة:

- المشعل..!

وأعادتها يداه إلى بين ذراعيه.

- إنسي المشعل الآن! لا تستديري عني يا أليكسندرا.. ألم أبرهن لك أنني أثق بك.. أصدقك؟

وهزها بلطف:

- لماذا لك هذا التأثير علي؟ أيتها الغاوية الواسعة العينين؟ ما عليك سوى النظر إلي و... أنت ترغبين في هذا كما أرغب به تماماً.. أيمكنك أن تقسمي أنك لا ترغبين؟

- أرغب بماذا؟

وتمسكت بالغضب كي تخفي ألمها.. ثقته بنفسه، عجرفته.. اعتقاده أنها ترغب به كما يرغب بها. وقالت له:

ـ علاقة عابرة؟ أهذا ما تريده؟ أم مجرد لحظات عبث مع صحافية شابة.. مع كامل رغبتها في المشاركة.. بالطبع؟

وتشنجت عضلات وجهه.. هل كان بسبب شعوره بالذنب؟ أم الغضب؟ أم الألم؟

ـ أنت لا زلت غير واثقة مني يا أليكسندرة، أليس كذلك؟ ألا يمكنك الثقة بي؟ ألم أظهر لك لتوي أنني أثق بك؟

ـ اوه.. لا تتملقني!

وتمكنت من الأفلات منه، ومسحت شفتيها.. برناردو بريغادينو يوزع قبلاته بكل سهولة.. فهي لا تعني له شيئاً!

ـ أتظنين أنني كنت أتملقك عندما قبلتك؟ لقد تمتعت بها بقدر ما تمتعت أنا بها.

ـ حسناً. أفضّل.. أن لا تفعل هذا ثانية برناردو.. فأنا لا أؤمن بهذه الحركات التي لا معنى لها.

ـ ولا أنا..

فنظرت إليه بسخرية:

ـ لديك سمعتك في تغيير نساءك كما تغير قمصانك. وهذا يبدو لي أمر لا معنى له.. وأنت بنفسك اعترفت أنك شاطرت فراشك في العديد ممن المناسبات.

وضحك عالياً:

ـ ليس هناك أدنى وجه تشابه.. فأنت يا حلوتي أليكسندرا أبعد عن مثل هذه النساء بُعد كوكب فينوس عن الأرض.

هل يعني بهذا الإهانة أم الإطراء؟ وقالت له ببرود:

ـ وهل نسيت باميلا؟

ـ لا.. أنا لم أنسها..

ـ اوه.. أليس من المفترض أننا سنذهب إلى البلدة؟

ـ سنذهب. لك تأثير غريب علي أليكسندرا.. لست أدري لماذا.

ـ لأنني إمرأة، هذا كل ما في الأمر. سأصعد الآن إلى غرفتي لأحضر الكاميرا.

ـ ألا تريدين المشعل.؟ إنه لا يزال يعمل.. خذيه..

ـ شكراً لك.

واختطفته وأسرعت بالصعود وتبعها صوته:

ـ سألتقيك عند السيارة.

ما كادا يدخلا باب المطعم حتى رمت باميلا نفسها بين ذراعيه مقطوعة الأنفاس.. ولاحظت أليكسي لمعان خام الماس والزفير في أصبعها الثالث. وأحست وكأن سكيناً يتحرك في داخلها.. ورفعت الكاميرا لتلتقط لهما صورة. وأبعدت باميلا نفسها من عناقه:

ـ اوه يا برناردو.. لقد نجحنا.. لقد وافق! وانظر.. لقد أصبح الأمر رسمياً! سوف نتزوج بعد شهر.

وأحست أليكسي بالأرض تحيد تحت قدميها: ماذا نجح؟ من هو؟ وماذا تعني بقولها «سنتزوج بعد شهر»؟

ـ حسناً فعلتي... هذا يستدعي الأحتفال!

وبدا سعيداً مثل باميلا.. ولكن كيف.. ولماذا..!

ـ هناك وقت يكفي لأشاركك الأحتفال قبل أن يصل جمع المتغدين.

وأشارت بأصبعها فتحرك السقاة للعمل. وتابعت:

ـ أرى أنك لا زلت تحافظ على ظلك الصغير الجميل برناردو.. أتمنى عليك أن تهتم بهذه الفتاة يا برناردو.. بمجرد النظر إليها يمكنك أن ترى أنها ليست من صنفك العياب.. وليست صحافية قاسية من النوع الذي يضع قصته فوق أي شيء.. كما أنها ليست كأي إمرأة تخرج معها عادة.

لقد لاحظت هذا أول مرة رأيتها وأرجوا أن تكون مدركاً لهذا يا حبيبي!

وقال برناردو وهو ينظر إلى أليكسي:
ـ لا تقلقي حبيبتي.. فأنا أنوي الأعتناء بها جيداً وأنا لست ذلك الغول الذي تتصورينه.

فابتسمت له باميلا:
ـ بالطبع أنت لست غولاً. مع أن أيدي يظنك هكذا. بسبب إجبارك لي على الصمود حتى نحل مشكلة السكن!

ـ إذن لقد وافق على الأستقرارهنا؟
ـ أجل وسيسافر إلى مدريد متى أحتاج.. وهذا يعني أنني سأستمر في إدارة هذا المطعم.. وأنا مسرورة جداً لهذا!!

ـ كنت أعلم أن هذا ما تريدينه.
والتفت إلى أليكسي ليشرح لها:
ـ خطيب باميلا رجل أعمال من مدريد.. ولكن معظم أعماله هي هنا في الوادي الكبير. وهو دائم السفر إلى هنا، وليس فقط لرؤيتها. وأقنعت باميلا أن تقنعه بالإستقرار هنا، والسفر إلى مدريد عند الحاجة. ولماذا على المرأة دائماً أن تتبع الرجل؟

وما هي الأشياء التي فهمتها بشكل خاطيء عنه؟ أيمكن أن تكون اليزابيت قد أساءت فهم بعض الأشياء أيضاً؟ طلبه الزواج منها أو اقتناعها بانه يحبها.. هل قرأت أكثر من اللازم في علاقتهما مما لم يكن ينويه؟

عليها أن تجد! الوقائع يا أليكسي؟ يجب أن تكون دقيقة، أتذكرين؟
وقال برناردو:

ـ قبل أن نذهب إلى المطار لاستقبال صديقينا الكنديان، سأعرج على المكتب الفرعي هنا لنصف ساعة.

وقالت أليكسي:
ـ بينما تذهب أنت إلى هناك هل تمانع لو خرجت أنا لأقوم ببعض الأعمال؟ لن أحتاج أكثر من نصف ساعة.

ـ بالطبع ولمَ لا..؟ المكتب لا يبعد عن الوسط التجاري كثيراً. عودي إلى المكتب عندما تنتهين.. سأنتظرك.

ولم تقل أنها لا تنوي التبضع.. بل هناك عدة مكالمات خارجية تنوي القيام بها دون أن يعلم أحد.

ولم تجد عناء في الوصول إلى غرفة هاتف.. واتصلت باليزابيت في لندن. وعندما لم ترد اتصلت بوكيل أعمالها لترى إذا كانت هناك أو تصور فيلماً وقال لها الوكيل:

ـ لقد سافرت.. قالت أنها تريد أن ترتاح بضعة أيام في الشمس، وأظنها سافرت إلى كابري.

ـ تظن..؟ ألم تترك لك رقم هاتف؟
ـ بلى.. ولكن يبدو أنها انتقلت ثانية. وربما تكون عائدة الآن. أتريدي أن أبلغها بشيء أو أن تتصل بك عندما تصل؟

ـ لا.. لا تزعج نفسك فأنا أتنقل كثيراً أيضاً. شكراً لك.
واتصلت بوالديها للتحية، كذلك بمكتب أوسكار.. ثم اتصلت بجارتها التي تسكن في الشقة المجاورة لشقتها والتي تستلم عنها البريد. وعلمت أن لا رسالة من إليزابيث ولا شيء ضروري. وعندما عاودت اللقاء مع برناردو نظر إليها بدهشة:

ـ ماذا.. لم تشتر شيئاً؟ ظننتك ذاهبة للتسوق.
ـ لم أجد ما أريده... لذا أجريت بضع اتصالات هاتفية.
ـ يمكنك القيام بهذه المكالمات من «الشاتو» في أي وقت تشائين.

ـ هذا لطف منك ولكنها كانت مكالمات خارجية لبلادي ولا أريد أن أربط هاتفك بمكالمات خارجية . . لعائلتي .

ـ لا تكوني سخيفة أليكسندرا . بإمكانك دوماً الإتصال بعائلتك وبإمكانك الإتصال إلى أي مكان في العالم . . .

الطريقة التي كان ينظر فيها إليها الآن جعلت قلبها يقفز من مكانه . . ولم يكن هناك وقت للتفكير . فبعد دقائق كانا في المطار ، وبعد أن جلس زائريهما في السيارة . . زوج مرح متوسط العمر يمتلكان أودية مليئة بالكرمة في أواسط كندا ، داني وميرتا فولروك . . توجها بالسيارة رأساً إلى الوادي الكبير وهم يتحدثون بمرح ويتبادلون الأفكار حول صناعة الكرمة . وأبطأ برناردو السيارة عندما وصلوا إلى منطقة زراعة الكرمة في وادي باروسا . وأخذ يسرد نبذة مختصرة عن كل مزرعة على حدة . إلى أن وصلوا أبواب «شاتو بريغادينو» .

الفصل التاسع

ما أن خطوا خارج السيارة حتى اندفعت فتاتان صغيرتان ترتديان الجينز الأزرق و «التي شيرت» من تحت القناطر المعمّدة ورميتا نفسهما على برناردو وهما تصرخان :

ـ عمي برناردو عمي برناردو!

ورفعت أليكسي الكاميرا ، والتقطت صورة برناردو وهو يرمي الصغرى من البنات في الهواء بينما الأخرى تتعلق بساقه صارخة :

ـ أريد أن أطير أنا أيضاً . أريد أن أطير!

ولاحظت أليكسي أن وجه برناردو استعاد نشاطه وحيويته ، وتوفر لها بذلك رؤية جانب مشرق من جوانب حياته . . وكان من الواضح أن الفتاتان الصغيرتان متعلقتان به جداً ، وبنفس الوضوح إنه يشعر بنفس الأحاسيس لهما . . إذن فهو يحب الأطفال . . الكثير حول شخصيته طيب . . ومع ذلك ، فذكر اليزابيت وما فعله بها ستبقى أمامها دائماً ، تظهر لها جانباً مظلماً يحرص هو وعائلته أن يبقيه سراً .

وبرزت إمرأة شابة من تحت القناطر ، صورة مكبّرة عن الفتاتين ، لها نفس خصل الشعر المجعدة ونفس العينين الزرقاوين المرحتين . ووقف برناردو وكلا الفتاتان متوازنتان على ذراعيه ليقدمها كزوجة أخيه ايفا . وأخوه بيادرو أنحف منه قليلاً وله وجه أخته التوأم إيفون النحيل وعيناها

السوداوين، نفس العينان التي شاهدتهما أليكسي في صورة والدهما المعلقة على الجدار في الطابق العلوي. ولا بد أن عينا برناردو الخضراء غير العادية أخذهما عن أمه. الأم التي لم يذكرها أبداً سوى بقوله «إنها ميتة».

وأحست أليكسي بأنها فرد من أفراد العائلة والجميع على العشاء ذلك المساء، وكان قد سمح للفتاتين بعد الإستحمام والطعام ولبس البيجاما أن تنضما إليهم قليلاً قبل موعد العشاء ثم لاحظت أليكسي أن برناردو بنفسه حملهما إلى غرفتهما.

ووجدت أليكسي نفسها جالسة بين برناردو، على رأس الطاولة وزائرهم الكندي دانيال فولروك.. وبدا على برناردو وكأنه يلاحظ وجود أليكسي لأول مرة.

ـ أنت تبدين جميلة بشكل خاص الليلة يا أليكسندرا.

وحاولت أن لا تتأثر كثيراً بالمديح، فهو يشاهدها للمرة الأولى ترتدي ثياب سهرة رسمية، وهذا كل شيء. وردت عليه بصوت هادىء:

ـ شكراً لك. وأنت تبدو جميلاً وأنيقاً أيضاً.

وعلقت إيڤون:

ـ صحيح. أليكسندرا تبدو رائعة الليلة، ولن يظن المرء أبداً أنها كانت مشغولة طوال النهار. على الأقل ارتحت أنا قليلاً، كما أصر علي كارلوس، وكنت أريح جسدي في مغطس ساخن منذ ساعتين!

وقال برناردو وهو يبتسم لها:

ـ لقد أفادك هذا جداً.. فأنت تبدين بأفضل حال يا إيڤون. في الواقع تبدين متوهجة.. أعتقد إنك اكتسبت قليلاً من اللحم على عظامك النحيلة. وتبدين الآن بشكل أفضل.

وتبادلت إيڤون النظرات مع كارلوس.. ولمعت عيناها السوداوان بطريقة لم تحدث من قبل وقالت لزوجها:

ـ هل تخبرهم؟

وقال كارلوس:

ـ أنت من رغبت في إبقاء الأمر سراً. قلت لي ما بعد القطاف.. بعد أن تهدأ الأمور قليلاً ونتأكد أكثر.. واليوم هو وقت مبكر لتبلغي الجميع.

ـ ولكننا واثقان.. ولا أستطيع استبقاء الأمر لنفسي أكثر من هذا!

وفغر برناردو فمه وقد فهم ما يجري:

ـ أتعنيان..؟ كم هذا رائع.. تهنئتي لكما! متى ستلدين يا إيڤون؟

ـ حوالي عيد الميلاد، كلانا كان متأثراً ومثاراً للحصول على طفل أخيراً! سنشتري لنا بيتاً.. ونحن نعرف أي بيت نريد «منزل آل بربوري القديم».. سوف يعرض للمزاد بعد ثلاثة أسابيع.. وسوف نتقدم بعرض مسبق لنضمن أن يكون لنا. إنه قريب من القصر ولعمل كارلوس اليومي، وسأستمر في العمل قدر استطاعتي.

وقال برناردو مقطباً:

ـ لستما مضطران للأسراع في شراء منزل خاص لكما.. هناك غرف كثيرة هنا.. بالتأكيد! ولسنا متكدسين فوق بعضنا.

وقال كارلوس:

ـ أنت تعلم أننا دائماً كنا نقول بأننا سنجد منزلاً خاصاً بنا عندما نبدأ بإنجاب عائلة.. ولقد عُرض «منزل بربوري القديم» للبيع في الوقت المناسب.. رحم الله روحه العجوز. إنه منزل عائلي مثالي.. ويناسبنا تماماً.

وقالت إيڤون بحنان:

ـ كما سيناسبك تماماً «شاتو بريغادينو» لأنجاب عائلتك فيه يا برناردو. ربما في وقت قريب كما آمل؟ فلدي آمال كبيرة متعلقة بك يا أخي الأكبر.

وضحكت لـه. . وحدقت أليكسي بـبرنـاردو. . إذا أصبحت بـاميـلا الآن بعيدة عن الطريق. . فمن تقصد إيفون يا ترى؟ ولاحظت أن إيفون تنظر إليها، وعيناها السوداوان ترقصان بطريقة لم تـدع مجالاً للشـك أين تقع آمالها!

وتحولت الأمسية إلى علاقة حميمة بين الجميع بحيث وجدت أليكسي نفسها تسبح معهم بكل سهولة، وتشارك بالمرح، وعنـدما تحـركوا نحـو غـرفة الجلوس لشـرب القهوة، انتهـزت ايڤا الفـرصة لتتفقـد الطفلتين. وترددت أليكسي قليلاً، محتارة ما إذا كان عليها أن تترك العائلة لوحدها، وما أن قررت الخروج حتى شاهدت برناردو يتصلب وينظر من النافذة:

ـ على ماذا تنبح تلك الكلاب؟

وقال كارلوس دون أن يظهر عليه القلق:

ـ على الثعالب دون شك.

ـ لا. . الأمر أكثر من هذا. أنهم يجنّون بسبب شيء آخر. سأخـرج لأتأكد.

وقال بيادرو:

ـ سأجيء معك.

والتقطت أليكسي الكاميرا ولحقت بهما، بعد أن لاحظت أن كارلوس ينتزع نفسه من كرسيه.

ولفحهم الهـواء البارد وهم يـركضـون إلى الخـارج. . وكـانت الليلة مقمرة. . مع أن هناك شرائح رقيقة من الغيم كانت تمر في السماء طوال النهار، وتحركت رياح حادة وهبطت الحرارة قليلاً.

وقال بيادرو:

ـ أشم رائحة دخان.

وصاح برناردو:

ـ أبحث هناك!

وظهرت ألسنة نار عبر الأشجار فصاح ثانية:

ـ اللعنة! النار في المستودع المكشوف. . إنه مليء بصناديق الكرتون الجديدة والورق والسماء تعلم ما بعد! والأسوأ من هذا أن الأرشيف كله هناك. . ويمكن أن نفقده.

والتفت من فوق كتفه:

ـ أليكسندرا قولي لأيفـون أن تستدعي فـرقة الأطفـاء! بيادرو أحضر خرطوم المياه. . سوف أذهب إلى هناك لألقي نظرة!

فصاحت به أليكسي متوسلة:

ـ انتبه لنفسك!

وسارعت إلى الداخل لتقول ما حدث، وأسرعت إيفون إلى الهاتف، بينما عادت أليكسي إلى الخـارج. . وأمسكت الكاميـرا وهي تركض في الفناء المظلم.

وسمعت أصوات هـديـر وتحـطيم خشب مـروع، وعنـدمـا وصلت المخزن، رأت أن جزءاً من المبنى الخشبي مشتعل بالنار وسمعت صوت تحطم الزجاج واندفـاع ألسنة النـار الصفراء من النـوافذ. وركضت نحـو الباب في نفس الوقت الذي شاهدت فيه بيادرو يجر خـرطوم مـاء ضخم ويصيح على كارلوس ليفتح الماء، التي اندفعت إلى الداخل بقوة.

وصاحت أليكسي:

ـ أين برناردو.

وركضت داخل الباب المفتوح، فاصطدمت ببرناردو وهو يخرج يحمل

كومة من الصناديق.

ـ أليكسندرا، أرجعي، المكان كله قد ينهار في أية لحظة! وخذي صورك اللعينة من مسافة آمنة! ورمي الصناديق في الخارج واستدار على عقبيه ليعود إلى الداخل.

وظهر كارلوس خلفها، واندفع ليتجاوزها مندفعاً نحو مؤخرة المبنى وهو يصيح . . .

ـ تاريخنا كله في هذا الأرشيف. . . ! يجب أن ننقذه!

وسمعت داني فولروك يصيح من خلفها:

ـ يا إلهي! ماذا يفعلون في الداخل! سوف يقتلون أنفسهم! أليكسندرا! ماذا تظنين نفسك فاعلة؟

ورمت أليكسي الكاميرا من يدها. وقالت:

ـ برناردو بحاجة إلى كل مساعدة ممكنة!

ورفعت يديها لتبعد الحرارة عن وجهها، تقفز فوق خرطوم المياه وتلملم الصناديق وهي تركض. وصرخت عندما شاهدت برناردو نصف مخفي في الدخان يركض نحو بيادرو ليمسك عنه خرطوم المياه، وتراجع بيادرو متأثراً بالحرارة. واستطاعت أن تشاهد صورة طيف برناردو تنعكس على ألسنة اللهيب، والأخشاب المحترقة تنهار من حوله وهو يقف في مكانه ثابتاً. يوجه المياه المتدفقة نحو اللهيب المشتعل.

وصاحت عندما شاهدت إحدى الدعائم الخشبية تنهار فوق رأسه تقريباً. وأخذت تصلي وهي تتقدم إلى الداخل وتمسك بذراع بيادرو وتشده إلى الخارج:

ـ يجب أن تنتشق بعض الهواء النقي يا بيادرو!

ودفعته خارجاً بين ذراعي داني المنتظر في الخارج. ثم استدارت لتعود، مندفعة إلى الغرفة الصغيرة في مؤخرة السقيفة. حيث كادت

تصطدم بكارلوس وهو يكافح كي يخرج كومة من الصناديق.

ـ اليكسندرا ماذا تفعلين هنا بحق الجحيم؟

ـ أعطني هذه الصناديق. . أرجع وأحضر المزيد منها!

وكادت تقع تحت ثقلها، واستدارت لتكافح للوصول إلى الباب، وكان داني جاهزاً ليأخذها من يدها. وفي خلال دقائق. . ظنتها ساعات. . كانت كل الأوراق المهمة قد أنقذت.

وسمع الجميع صوت تحطم بعد أن انهارت دعامة أخرى للمبنى. وصاح كارلوس:

ـ برناردو. . أخرج من هناك بسرعة. . ! السقف سينهار!

وفي نفس اللحظة أعلنت صفارات الخطر وصول سيارات الأطفاء. وعلى الفور باشر الأطفائيون بالعمل. . ونجا برناردو بأعجوبة قبل جزء من الثانية من انهيار السقف. ووجهه أسود من الدخان، قميصه ممزق، شعره محترق قليلاً. . . ولكنه سليم! وقال له كارلوس:

ـ لقد أخرجنا كل ما نحن بحاجة إليه يا برناردو! المخزن احترق برمته! ولكن لا يهم الآن.

وما هي إلا دقائق حتى أعلنت فرقة الأطفاء السيطرة على الحريق. وانفجر الجميع بالكلام مرة واحدة. . . إيفون. . . ايفا وميرتا فولروك واستدار برناردو بحدة:

ـ أين أليكسندرا؟

وابتلعت أليكسي ريقها:

ـ أنا هنا برناردو.

كانت تعلم أن منظرها محرج، ووجهها أسود كوجهه، ومدت يدها إلى شعرها لترتبه. ولاحظت لأول مرة أن غطاء الكاميرا قد تخرّب.

وقطب برناردو في وجهها:

ـ اظنني قلت لك أن تبتعدي! هل حصلت على صور جيدة؟

وعضت على شفتها: أفضل لقطات الأسبوع ومع ذلك لم تلتقطها! كان بإمكانها إظهار برناردو وهو يعمل. . كالبطل. والآن كل ما باستطاعتها أن تصف المنظر ولن يكون كما قد تدعمه بالصور الناطقة!

ـ اوه برناردو. . أنا آسفة! أنا. . أنا لم أعتقد. . .

وتدخل بيادرو، فأمسك بذراعها وضمها إليه.

ـ أليكسندرا بطلة. لقد أنقذتني. . ثم نظمت سلسلة لأخراج الأوراق. ولم تكن تلتقط الصور!

واستدارت عينا برناردو لتستقر على وجهها وعيناه تلمعان في الظلام بتعبير لم تستطع تفسيره. هل سيغضب لأنها تجاهلت أوامره بالابتعاد؟

ـ أتعني أنك نسيت مهمتك واندفعت إلى الداخل. . لتساعدنا فقط؟ أين الكاميرا؟

ورد داني من الخلف ضاحكاً:

ـ ها هي. . لقد التقطتها حيث أوقعتها. وأظن أنها سليمة. .

وداعبها كارلوس:

ـ ما نوع الصحافيين أنت. ترمين الكاميرا في اللحظة المناسبة.

ولم يبدو على أحد الغضب ولكن الجميع أحسوا بالخيبة لفشلها في عملها. وقالت وهي تمسك الكاميرا:

ـ دعوني أخذ لك الصور الآن.

وأمسكت يد برناردو بذراعها:

ـ إنسي الأمر اللعين كله.

وقال داني بلهجته الكندية الريفية:

ـ لدي اعتراف أقوله. . أنا ماهر بالتصوير أيضاً، ولقد التقطت بضع

صور لأليكسندرا. ولم يلاحظ أحد ضوء الكاميرا أمام اللهيب.

ـ حسناً. . حسناً. . ها أنت يا أليكسندرا، لم يفتك شيء مما حدث.

ولف ذراعه على كتفيها وأخذ يربت بأصابعه عليهما. وقال لشقيقته:

ـ إيفون خذي أليكسندرا إلى المنزل. أتسمحين؟ واجعلي أنيتا تحضر لها الشاي أو أي شيء آخر. ونظفي نفسك يا أليكسندرا، واذهبي للنوم سوف نبقى نحن هنا. أريد أن أعرف كيف اشتعلت النار. . شكراً لك يا أليكسندرا. . لا تظني أبداً أننا لسنا شاكرين لما فعلته لنا. إذهبي الآن. . ونامي جيداً.

ـ وأنت أيضاً برناردو. . تصبح على خير!

★ ★ ★

مرّ اليوم التالي بنشاط محموم. فوصل مخمنوا شركة التأمين، والبوليس، ومراسلوا الصحف. وبعد التنقل عبر أنقاض المخزن المحروق، دون إيجاد أي شيء يثير الشبهات، ولا حتى أي عطل كهربائي، قيدت القضية على مجهول من سائقي الشاحنات قد يكون رمى عقب سيكارة عن غير قصد في وقت سابق من ذلك النهار.

وانضمت مارلين إلى أليكسي في وقت لاحق عندما خرجت لمشاهدة الأضرار، وقالت لها بابتسامة ودودة:

ـ أعتقد أنك أصبحت البطلة هنا. فلك تأثير جيد يا أليكسندرا. بطريقة أو بأخرى.

وكان لرنة صوتها معنى جعل أليكسي تلتفت بسرعة:

ـ والمعنى!

ـ المعنى أنني لم أسمع شيئاً سوى التقدير لك في كل مكان ومن

الجميع . . إيفون كارلوس برناردو.

ـ برناردو؟

ـ بالطبع . . ولكنه لم يقل شيئاً كثيراً، ولكن لهجة صوته عندما كان يتلفظ أسمك وتلك النظرة في عينيه . . كانت تعني كثيراً. إنه عادة غير مبال فيما يختص بالنساء، ولكن أنت، إنه مختلف . . وأستطيع رؤية التغيير، وسماعه.

ـ وهل تعرفينه بهذا القدر؟

ـ أجل أعرفه جيداً. ولكن ليس بالطريقة التي تفكرين بها. فلدي حبيب منذ مدة طويلة . . إن لك عينان مؤثرتان يا أليكسندرا . . وأنت علقت به . . أليس كذلك؟

وقفز قلب أليكسي من مكانه وقالت دون تفكير:

ـ وهل هذا واضح علي؟

يا إلهي! لماذا تفوهت بهذا السؤال؟ لماذا لم تنكر؟ وحاولت أن تضحك لتبدو مازحة:

ـ غير معقول . . أليس كذلك؟ لم أعرفه سوى منذ بضعة أيام . . ولم يكن في نيتي . .

وصمتت، ملوحة بيدها . . ماذا في هذه الفتاة يجعلها تقول أشياء حاولت جاهدة أن لا تعترف بها حتى لنفسها؟ وتابعت:

ـ على كل . . أنا ذاهبة بعد بضعة أيام. لا تقولي أي شيء يا مارلين . . أرجوك! فلا فائدة من الأمر. سوف أتغلب على مشاعري.

ولكن . . هل تستطيع؟ وضغطت مارلين على ذراعها:

ـ لا تقلقي . . سرك آمن معي . . . ولكن ما يجعلك تظنين أن لا فائدة؟ إنك تعجبينه، وأعرف هذا. ولن اندهش أبداً لو أنه أراد الأستمرار في

رؤيتك . . أعني، بعد إنهاء عملك هنا.

ـ لا . . . فهذا مستحيل.

ـ ولمَ لا؟ أنت فتاة جميلة . . ودافئة وطبيعية . . وذكية! ولقد قرأت مقالاتك، إنها جيدة . . . ومع ذلك فأنت لا تندفعين كثيراً إلى الأمام . . فأنت عاطفية وتفكرين بالآخرين . . ولا تضعين عملك قبل كل شيء . لقد سمعت ما فعلتيه ليلة أمس. أنت فعلاً فتاة رائعة يا أليكسندرا.

إنني فتاة كانت تخدع رب عملك طوال الأسبوع . . فتاة شقيقتها عانت مما فعله بها رب عملك. وقالت أليكسي وهي كئيبة:

ـ برناردو لن يربط نفسه بي . فأنا فتاة قديمة الطراز، وأؤمن بالحب والزواج . . . أي الألتزام.

ـ أعطه فرصة . . وأنا واثقة أنه مؤمن بهذه الأشياء أيضاً . . مع الفتاة المناسبة.

وتنفست أليكسي بخشونة:

ـ لقد سمعت إنه كان مرتبطاً مع اليزابيت برايس عندما كانت هنا . . وإنه طلب منها الزواج . . .

وردت مارلين بصوت قاطع:

ـ أبداً! لقد انغمسا في علاقة عابرة، وهذا كل شيء . . لقد طاردته. ولقد شاهدتها بنفسي، لم يكن يريد أي علاقة معها في البداية . . فلديه شعور معاد تجاه الممثلات . . . إنه يكرههن. ولكنها حصلت عليه في النهاية . . وكانت فعلاً صيداً موفقاً . . فهل يمكن لأي رجل أن يقاومها؟

ـ ولكنني سمعت أنها جنت بحبه، وأرادت الزواج منه . وأحست بالدمار عندما انفصلا.

وبدت الدهشة على مارلين:

ـ أتعني أنها كانت تتكلم عن الأمر؟ ظننت أنهما اتفقا على أن لا يتكلما عن الموضوع . . انظري . . لم يكن كهناك أي كلام عن الزواج أو عن أي شيء جدي. وبرناردو لا يمكن أبداً أن يعلق بممثلة. ولن يتزوج منهن بالتأكيد. لقد قلت لك: إنه لا يثق بهن.

ـ ولماذا؟

ـ لأن أمه كانت ممثلة. وهربت من والده عندما كانت إيفون وبيادرو مجرد طفلين، فقد حصلت على عرض للذهاب إلى هوليود ولم تستطع أن تقاوم. وفشل العرض. . وبدأت تنحدر بسرعة. ولكنها لم تعد إلى منزلها أبداً. وماتت من الأدمان. ولم يعرف أحد ما إذا كانت وفاتها عرضية أم مقصودة. ولم يتزوج والد برناردو ثانية. ولم يسامح برناردو والدته على الطريقة التي تخلت بها عنهم. . . ولا على الطريقة التي دمرت بها والده.

وسألت أليكسي بصوت خفيف:

ـ وهو لم يثق بامرأة منذ ذلك الحين؟ ألهذا هو لم يلتصق بفتاة لفترة طويلة. . ؟

ـ ربما. . ولكنني أعتقد أنه يثق بك أليكسندرا. . وربما لم تمر في حياته الفتاة المناسبة. . حتى الآن.

ـ هذا لن يحدث. . ليس لي ولبرناردو. . . مارلين. . أنت لن. .

ولم تحتج لأن تكمل كلامها:

ـ لن أقول شيئاً. أعدك، فأنا سكرتيرة أهل للثقة، أتذكرين؟ وأنا معتادة على الأسرار.

ولمست أليكسي ذراعها بلطف:

ـ شكراً لك، أنا مقدرة لك هذا. . حقاً.

ـ حظاً سعيداً يا أليكسندرا!

بعد الغداء سافر بيادرو مع عائلته، واصطحب معه عائلة فولروك ليريهم وادي العرائش الذي يشرف عليه في الناحية الأخرى للوادي الكبير. وبينما كان الجميع يلوحون لهم مودعين كان برناردو ينظر إلى السماء مقطباً. وتمتم:

ـ إنها غيوم العاصفة. هل سمع أحدكم النشرة الجوية؟

ورد كارلوس متجهماً:

ـ أجل. . العاصفة قادمة دون شك. في الواقع يتوقعون عاصفة مصحوبة بالثلج هذا المساء. لقد سمعت هذا لتوي في الراديو.

ـ ثلج. . ! اللعنة. يوم آخر وكنا سننتهي من القطاف. لم يعد أمامنا غير العنب الأسود وينتهي الأمر.

والعنب الأسود، كما علمت أليكسي، هو العنب الذي ينمو على العرائش الخضراء القائمة القوية والمستخدم في إنتاج الدبس العنبي الفاخر.

وسارع برناردو لقرار مفاجيء:

ـ علينا جميعاً أن نسارع إليها في الحال ونقطف عنب «الباليمينو» بسرعة. ولا أريد المخاطرة بإتلافها. أنشر الكلمة للجميع. . أريد كل الأيدي المتوفرة! كل القطافين الذين ينامون هنا بعد دوام عملهم وسوف ندفع لهم مضاعفاً. وكل من سيساعدنا سندفع له مكافأة.

وقالت أليكسي على الفور:

ـ أود أن أساعدكم أيضاً.

وأمسك برناردو بيديها:

ـ بهاتين اليدين؟ أنظري إذا أردت المساعدة بإمكانك تحضير الأواني الفارغة للقطّافين.

ـ بإمكانك استخدام الأولاد لهذه المهمة. كنت أظن أنك بحاجة إلى

كل الأيدي التي يمكن أن تعمل؟ ولدي يدان عاملتان يا برناردو.

ـ حسناً.. أوكي.. ليس لدي وقت للجدل.. فلنتحرك! وأبقي قريبة مني!

وقفز الجميع إلى العمل. ومر وقت طويل، وبدأ نور النهار يضعف بسرعة وعلم الجميع أن أصوات الرعد البعيدة بدأت تقترب. ومع ذلك استمروا بالعمل. إلى أن وصلوا أخيراً إلى آخر صفوف العرائش. وكان الجميع يغطيهم وحل أحمر لاصق من الغبار وعصير العنب، وتنتشر على أجسادهم الأوراق الخضراء مما يجعل رؤوسهم شبيهة بأعشاش الطيور.

وأخذ برناردو ينظر إلى ألِكسي وهو يضحك من منظرها.. وشاركته الضحك بعد أن عرفت أنهم انتهوا من القطاف...

ودوي انفجار رعد هائل فوق الرؤوس، وانمسحت الضحكة عن شفتي برناردو. والتفت ليصرخ بين صفوف العرائش:

ـ هذا يكفي.. الجميع! حمّلوا الصناديق على العربات كي نأخذها معنا! لم يعد لدينا وقت!

والتفت إلى أليكسي ممسكاً بيدها وقلبها إلى راحتها.. الأصبع الأول من يدها كان عليه قرحة وقد احمر الجلد من حولها:

ـ يدك مناسبة أكثر للكتابة أو لعب الموسيقى على أية آلة. أريدك أن تعودي إلى المنزل.. وتسترخي في حمام ساخن ولفترة طويلة.. وستحضر أنيتا لك العشاء إلى غرفتك.. وبعض المرهم لتضعيه على يدك. ولن تجدي صعوبة في النوم.. صدقيني! والآن هيا إذهبي! أركضي! فالعاصفة ستبدأ في أية لحظة!

ـ ولكن برناردو أنا..

ـ هيا إركضي....

وركضت...

الفصل العاشر

إستيقظت في اليوم التالي وهي لا تزال تحس بألم في كل جسدها.. ألم مخدّر خفيف، ووجدت صينية فطار.. كرواسون طازج.. وخبز مصنوع باليد ساخن مع إبريق مليء بعصير العنب الطازج الأحمر..

ووردة وحيدة في وعاء زهر طويل.. وردة حمراء.. لأوراقها ملمس المخمل وعليها ورقة مكتوبة:

«لا لزوم لنزولك طوال الصباح.. سأكون في المخزن أتفقد قطاف الأمس.. أنت فعلاً عاملة نشيطة.. أليس هناك ما لا يمكن أن تمدي يد المساعدة فيه؟ أراك وقت الغداء.».. وكان الأمضاء بكل بساطة «برناردو» إنه هو، وليس أنيتا من التقط الوردة لها.. حسناً.. هل كانت تنتظر رؤية بدل الأمضاء، كلمة مع «حبي»؟

والتفت إليها برناردو بعد أن شاهد وميض «فلاش» الكاميرا يلمع في وجهه وهو يتفحص قطاف الأمس وقال لها:

ـ كيف يمكن أن تبدي رائعة هكذا بعد عملك لأول مرة في القطاف؟ كان عليك الراحة إلى وقت الغداء.

وتفوّت عليها الساعات الغالية الباقية لها في رفقتك؟ وابتسمت وهي تهز رأسها:

ـ لقد ارتحت كفاية. . وأشعر بأنني على ما يرام.

ـ على ما يرام؟ هه!

ـ أوكي. . لا زلت متألمة قليلاً. ولكنني استمتعت بكل دقيقة يوم أمس. وابعث بطلبي في أي لحظة تحتاج فيها لمساعدة.

ـ قد ألزمك بكلامك.

كلمات لا معنى لها. . فقد أوشك أسبوعها هنا على نهايته. . . ولكنها أحست بالدفء لسماعها.

بعد خروج الجميع من غرفة الطعام، بعد الغداء مباشرة، أخذ برناردو أليكسي من يدها قائلاً بغموض:

ـ تعالي معي. . هناك شيء أريد أن تريه.

وأخذها إلى مدخل القبو الخاص تحت القصر. . وفتح الباب ثم سحبها إلى الأسفل. . وأحست ببرودة القبو، فخفق قلبها. وتذكرت آخر مرة كانت معه هنا، لوحدهما. يومها لم يكن برناردو لطيفاً!

ـ ما. . ماذا تريد أن. . أن تريني؟

ـ إنتظري وستري.

ـ لماذا تأتي بي إلى هنا؟

ـ أريد توضيح الأمور. والتعويض لك عن الطريقة التي عاملتك بها آخر مرة هنا.

ووصلا إلى باب الغرفة التي كان يعمل فيها كارلوس. . وفتح الباب، ثم أضاء النور في الداخل. .

ودخلا. . كانت غرفة صغيرة. . فيها صفوف من الزجاجات في الحائط. وسألته:

ـ وهل لهذه الزجاجات صفة خاصة؟

ـ ليس بالضبط فنحن مهتمون بهذه وليس بالزجاجات.

ولمس «الفلينة» وهو يتكلم. فقالت:

ـ أنتم مهتمون «بالفلين»؟ لماذا؟ هل تسبب لكم مشاكل؟

فضحك:

ـ ليس لديك أية فكرة عما أتكلم. أليس كذلك. ؟ تعالي.

وسحبها إلى طاولة عليها آلة حديدية وعدة «فلينات» مبعثرة.

ـ هل تعلمين ما هذه؟ إنه قالب ضغط يستخدم في حشر «الفلين» لأقفال الزجاجات. وهذا ليس فليناً حقيقياً. أنظري جيداً، إنه تقليد رائع. من بنات أفكار كارلوس. . إنه فلين صناعي. ونحن نأمل أن تثبت فعاليته أكثر من الفلين العادي. . ما عدا إنه لا يتقلص أو يتعفن بمرور الوقت. . إنه يعمل على صنعها منذ أمد طويل. ويختبر فعاليتها في الزجاج لفترات طويلة.

ـ فهمت. . وفي هذه الأثناء تشعر بأن عليك حماية هذا الأختبار. . وهل تظن أن أحداً سيحاول سرقة أفكار كارلوس؟

ـ نحن لا نظن بل نعرف بالتأكيد. لقد بلغ باقي مزارعي الكرمة ما يفعله كارلوس. . وقد يدفعون أي شيء لأخذ أسرار التركيبة وتطويرها بأنفسهم، لذا علينا أن نكون حذرين، ونحتاط. .

ـ حتى مني؟ ألهذا غضبت عندما وجدتني هنا؟ هل ظننت أنني أتيت لسرقة فكرة كارلوس؟

وأمسك بذراعها:

ـ لم أكن واثقاً منك في البداية. ولكن الآن وقد عرفتك تماماً، لم أستطع منع نفسي من قول الحقيقة لك.

ـ أستطيع شرح كل ما حدث لك.

ـ لقد شرحت ما فيه الكفاية. . وأنا الملام. . ويجب أن أعوض لك.

ـ لا برناردو. . .

وأطبق فمه عليها. . ثم تراجع قليلاً ليقول:

ـ أخشى أنني مؤخراً كنت أشعر بعقدة الأرتياب. . فقد حصلت محاولة سابقاً ولكن. . هذا لا يغفر لي. . .

وأسكتت ما تبقى من كلامه بقبلة منها:

ـ اوه برناردو لا ألومك. . لماذا قررت أن تريني هذا المكان؟

ـ أردتك أن تعرفي أنني أثق بك أليكسندرا.

ـ وما الذي جعلك واثقاً من قدرتك على الثقة بي؟

فضحك:

ـ لو كنت هنا لمجرد التجسس أو سرقة الأسرار. . فقد كان لديك الفرصة الكافية بينما كنا نكافح النار. . وبالأمس في قطاف العنب عرضت المساعدة. وكان بإمكانك فعل ما أردتي دون أن يفتقدك أحد.

وسألته بنعومة مداعبة:

ـ وأنت ألن تفتقدني؟ برناردو. . .

ـ هه. . ألن تتركيني أجيب على سؤالك؟

وجذبها بين ذراعيه بكل احترام. واستطاعت أن تسمع دقات قلبه ثم تمتم:

ـ وهل صدقاً تعتقدين أنني لن أفتقدك؟ ألم تلاحظي أنني أنظر إليك على مرور دقائق اليوم، وأنني أريدك بقربي طوال تلك الدقائق؟

وتشابكت أصابعه في شعرها، ويده الأخرى كانت تمر بنعومة فوق كتفيها. لمسته كانت ترسل القشعريرة من شعر رقبتها الناعم إلى أسفل قدميها. . وهمس:

ـ أليكسندرا. . أنت تشعرين بنفس الشيء. . أليس كذلك؟ وهل تسامحيني على ريبتي فيك؟

وأخذت ترتجف دون إرادتها. . ربما لم تكن تنوي سرقة أسرار «شاتو بريغادينو» ولكنها كانت خائنة في طرق أخرى. . وإذا اعترفت لبرناردو فكيف يمكن أن لا يتألم ويخيب أمله فيها؟ قد يكرهها على إنها مخادعة ومنافقة. وكيف تستطيع تحمل هذا؟

أيمكن لها ان تفكر بصداقة أعمق معه. . أو حب مثلاً؟ في وقت كانت الريبة والخداع هي السائدة بينهما، والأسرار لا زالت مخبئة؟ وبصرخة اضطراب جذبت نفسها بعيداً عنه.

ـ حبيبتي ما الخطب؟

ـ برناردو أرجوك دعني أذهب! هناك شيء أريد قوله لك.

ـ اللعنة. . تبدين لي الآن شهية!

وضمها أكثر بين ذراعيه، وأحست بإرادتها تضعف فهمست:

ـ اوه. . أرجوك برناردو. .

ـ لا بأس يا حبيبتي. . افهمك. . أنت لا زلت غير واثقة بي أليس كذلك؟ أنظري. . أعرف أنني لم أكن قديساً فيما مضى. . ولكنني لم ألتق بامرأة من قبل تجعلني أهتم بها لدرجة أنني مستعد للتخلي عن نمط حياتي الحالي. ولكن معك الأمر مختلف. . لا أستطيع تصور الحياة بدونك بعد الآن.

وترقرق الدمع في عينيها وهي تلتقي بعينيه وتلاحظ الحنان فيهما. .

ـ الوقت لا علاقة له بما يحدث بيننا. . فأنا أعرف مشاعري، وأعرف أنها لن تتغير. . أريدك أليكسندرا، ولا أريد أن أتركك! وأنت تشعرين نفس الشيء تجاهي. . أليس كذلك؟

ـ أجل. . لا!. . . أعني. . أرجوك أتركني! عندما تحضنني هكذا لا أستطيع التفكير! هناك شيء يجب أن نتحدث عنه قبلاً.

آه. . أتعنين الأحتياطات؟

ـ لا!. . لست أتحدث عن هذا. . برناردو. . لا نستطيع! لا يجب. . قبل أن. . .

ـ إلى أن نتزوج؟

ـ ما. . ماذا؟

ـ إلى أن نتزوج. . أنت ستتزوجيني.

وقفز وجه اليزابيت أمام عينيها صارخاً: «أنت تسرقين الرجل الذي أحببت. . . الرجل الذي لا زلت أريد الزواج منه. . والذي قد أتزوجه لو لم تقفي في طريقي»!. . . وتمتمت وهي ترتجف:

ـ وهل تطلب الزواج من أي إمرأة ترغب في النوم معها؟

ـ ألا زلتي تصدقين الشائعات أكثر من كلمتي؟

ـ لا. . الأمر ليس هكذا. . .

وسمعا نداء من آخر القبو:

ـ برناردو. . ؟ أنت هنا؟

ـ إنها أنيتا!

وانزلقت يداه عن كتفيها، وصاح:

ـ أنا قادم يا أنيتا!

وما أن وصلا إلى السلم حتى وقفت أليكسي تسند ظهرها مضطربة، وأخذت أنيتا تنقل نظرها من إحدهما إلى الآخر والفضول يقفز من عينيها.

ـ ما الأمر أنيتا؟

ـ هناك سيد يريد مقابلتك. . إنه يدعى السيد فيليب دومان. . وتقول مارلين إنه اتصل من البلدة منذ ساعات ليتأكد من وجودك بعد الظهر.

ـ لم أسمع به. . هل قال ماذا يريد؟

ـ لا. . يقول أن الأمر شخصي.

وقطب برناردو جبينه. . ونظر إلى أليكسي نظرة ساخرة والإبتسامة على شفتيه.

ـ لا يمكن أن يكون زوجاً ثائراً. فأنا دائماً أبتعد عن النساء المتزوجات. . . أعتقد أن علي مقابلته. . تعالي معي إذا شئت. فليس لدي أسرار أخبئها عنك.

كان فيليب دومان ينتظر في الردهة الأنيقة يقف داخل الباب تماماً.

ـ لطف منك أن تقابلني سيد بريغادينو. . هل تسمع بالخروج قليلاً؟ هناك شخص يود التحدث إليك.

وقطب برنارد أكثر:

ـ ومن في الخارج؟ ما كل هذا؟

وفتح فيليب الباب على مصراعيه ووقف في الخارج ليترك برناردو يخرج وتبعته أليكسي والكاميرا معلقة على كتفها.

وتوقف برناردو على حين غرة. . في منتصف الطريق نزولاً على السلم. وسمعته يصرخ بسؤال:

ـ ماذا تفعلين هنا بحق الجحيم؟

وتجاوزته أليكسي بنظراتها إلى من كانت تقف عند أسفل السلم. وكادت أن تقع. . وأفلتت شهقة منها دون أن تستطيع إيقافها

ـ اليزابيت!. .

واستدار برناردو:

ـ هل تعرفينها؟

ـ إنها شقيقتي!

وعندما لاحظت اليزابيت وجود أليكسي اتسعت عيناها:

ـ أليكسي لماذا أنت هنا؟

ـ لماذا تناديها أليكسي؟

ـ الجميع يناديها أليكسي.

وقال برناردو بصوت كالثلج:

ـ ليس الجميع..

وقالت اليزابيت:

ـ لقد قلت لك أن تبتعدي عن الموضوع.. لماذا جئت إلى هنا؟ ولا تقولي أنك جئت إلى هنا للبحث عن...

وقال برناردو بصوت لاذع كالسوط:

ـ إنها هنا لأن الدم لا يصير ماء. والأختان متشابهتان.. يا إلهي.. كم كنت غبياً! لقد كدت تحمليني فعلاً على التصديق.. بأنك مختلفة!

ـ مختلفة عن ماذا؟

ـ مختلفة عن النساء الباقيات. مختلفة عن أختك!

ـ ألم تؤذ أختي ما فيه الكفاية؟ بإمكانك إبقاءها بعيدة عن موضوعنا.

ـ وكيف يمكن هذا؟ فكلاكما سواء. وكلاكما قادرتان على خداع الناس الذين تدعيان الاهتمام بهم. أنتما لا تعرفان قيمة الشرف والصدق والأخلاص! ولا أي منكما!

وتقدم فيليب خطوة وهو يقول:

ـ والآن توقف...

ولكن نظرة واحدة من برناردو جعلته يتراجع على أعقابه.. واندفعت اليزابيت تدافع عن أختها:

ـ لا حاجة لك لمهاجمة أختي لأنك لا زلت حاقداً علي، «برناردو بريغادينو».. أعتقد أنني أستحق ازدراءك.. ولكن هي لا..! إنها لا تعلم شيئاً عما حدث!

وأظهت ضحكته الجافة مدى عدم تصديقه.

ـ أتتوقعين أن أصدق هذا؟.. اوه.. لا... مع إنها كانت مقنعة جداً.. عيناها.. وجهها.. بإمكانها النجاح في الحصول على أي شيء! ومجيئها تحت ستار مهمة صحفية كانت حجة رائعة.. اللعنة! كان يجب أن أعرف! أيتها العاهرتان الذكيتان المقنعتان. وشقيقتك «ليز» أذكى منك. كان من الممكن أن تنجح لولا حضورك!

ـ الا تدرك أن أختي لا تكاد تعرف عما تتكلم؟

ولفت ذراعها على كتفي شقيقتها، وأخذت تربت عليها مواسية:

ـ أليكسي مستقيمة وواقعية يا برناردو بريغادينو! جريمتها الوحيدة، كما أرى، أنها لم تخبرك أنها شقيقتي. وهذا..

وارتفع صوت برناردو فوق صوتها

ـ لا.. لأنها لو فعلت فهي تعلم أنها لن تكسب لو شككت في أن لها صلة معك، وما يحيرني الآن هو لماذا رجعت.. هل خشيت أن لا أكون متسامحاً هذه المرة لو اكتشفت أمر أختك؟

ـ لم أكن أعرف أنها هنا!

ـ وهل تتوقعين أن أصدق؟

ـ أجل.. لأنها الحقيقة. ولما تبقى من ذكرى.. رجعت برناردو بريغادينو لأعتذر منك! لقد حافظت على وعدك بعدم قول أي شيء... عما حدث. وأردت شكرك على هذا. وأخبرك أنني نادمة على ما فعلت.. لقد كان عملاً غبياً لعيناً.. ولن أفعل مثله ثانية.. مهما كنت يائسة!

واستدارت لتواجه أختها:

ـ إذن.. لقد أرسلتك الجريدة إلى هنا.. ولم تقولي لبرناردو أنك أختي بسبب القصة التي لفقتها لك... اوه أليكسي.. ماذا فعلت بك؟

ـ قصة.. ملفقة؟ أتعنين أنها لم تكن صحيحة؟

وتدخل برناردو ساخراً:

ـ يبدو أن كلاكما «سيد» في القصص الكاذبة. وأتركبكما لوحدكما تؤلفان ما تشاءان.. لقد سمعت ما يكفي من الأكاذيب ليبقى معي العمر كله!

وتركهما وعاد إلى داخل القصر، وقالت اليزابيت بحزن:

ـ لقد وقع في حبك، أليس كذلك؟ وأنت أيضاً. اوه.. يا إلهي! أليست هذه مهزلة من مهازل الحياة؟ برناردو بريغادينو من بين كل الرجال! وأنت.. أنت يا حبيبتي..

ـ لقد قلت لي إنه طلب الزواج منك.

ـ اوه.. وهل فعلت هذا..؟ أجل لقد فعلت. وأنت ظننت أنه.. اوه يا عزيزتي ماذا فعلت بك؟ لقد كنت خائفة أن لا يفي بوعده ويبلغ الصحافة ما فعلت!

ـ وماذا فعلت بالضبط يا اليزابيت؟

ـ أتعني إنه لم يخبرك؟.. لا.. بالطبع لم يفعل.. إنه رجل يحافظ على كلمته.. وأنت بسبب وظيفتك بقيت ساكتة، عما أعتقد. إنه حصل. ومع ذلك وقعت في حبه!.

ـ قولي لي ما حدث يا إليزابيت.

ـ أوكي.. سأفعل.. ولكن أرجوك لا تنقلبي ضدي أنت أيضاً. لقد كنت غبية لعينة.. عندما جئت إلى هنا للتصوير.. كنت، كما تعلمين مفلسة.. وتقدم مني رجل من مزرعة أخرى وعرض علي كمية مذهلة من المال في سبيل وضع يدي على سر تركيبة «الفلين» أو بضع منها، كي يتفحصها عمال المختبر عندهم ويطورونها بطريقة مختلفة. أعلم أن الأمر غلطة! ولكن هذا ما حدث...

ـ أتعني، فعلت هذا لأجل المال.. تحت ستار تصوير الفيلم عملت جاسوسة على برناردو في عقر داره.. لا أستطيع التصديق!

ـ هذه هي الحقيقة!

ـ ولكن هذا غلط يا ليز وأنت تعرفي هذا.

ـ أجل.. ولا تظني أنني لم أقاس عذاب الضمير!

ـ أتعني أنك وبرناردو لم.. أبداً...؟

ـ اوه.. لقد عبثنا قليلاً.. مع إنه كان صعب الاقناع.. وأوضح لي تماماً أن لا إرتباطات وراء ما بيننا.

ـ اوه ليز كيف استطعت فعل هذا؟ لا بد أنك كنت قادرة بالثقة في.. شقيقتك على الأقل!

ـ لم أكن قادرة على تحمل معرفتك، وأنت أحب الناس إلي.. بأنني أستطيع القيام بمثل هذه الأمور، أنت الإنسان الوحيدة الذي لم ينتقدني يوماً أو يدينني. والآن أعتقد أنك ستكرهيني.

ـ لن أكرهك ليز.. فأنت أختي. وسأحبك دائماً.

ـ يا حبيبتي المسكينة! كم أتمنى لو أنك لم تقعي في حبه بهذه القوة!

ـ لا تقلقي.. لن يريدني بعد الآن. إنه مقتنع أننا متشابهتان. وأنا قد تجسست عليه فعلاً وكدت أقرأ مذكراته، حتى إنه فاجأني في القبو عندما بحثت عن ماستك ووجدتها.. هل ستكوني مسرورة؟

ـ وجدتها؟ اوه حبيبتي! لماذا لم تخبريه عني؟ لماذا لم تواجهيه أو تتهميه؟

ـ أعتقد لأنني في مهمة.. ولكنني مع الوقت تعرفت إلى حقيقته. وادركت مدى خطأي.

ـ إنتظري علي قليلاً لأهدأ وأفكر.. إذا كان يهتم بك سيرى أن ليس

هناك ما يحتاج للغفران. وسيعرف أنك لم تعرفي شيئاً عما حصل معي. ومن يدري.. فقد يتزوجك في النهاية. ولن أكون هنا لأعطل عليكما سعادتكما.. فيليب سيوصلني إلى الطائرة غداً لأذهب إلى هوليود.

- هوليود؟

- أجل لقد حصلت على بضع فرص، وسأذهب لأتفاوض معهم وسيلحق بي فيليب فيما بعد.

- ومن هو فيليب؟

- لقد كان بطل اسبانيا في السباحة قبل أن تخطفه مسلسلات الشاشة الصغيرة. وسأعود يا حبيبتي لافتتاح فيلمي الذي صورته هنا.. ومن يدري فقد أقابلك أنت وبرناردو حقاً.

وهزت أليكسي رأسها يائسة:

- لا أمل في هذا.. لقد انتهى كل شيء..

- ليس إذا استطعت مساعدتك! أنظري.. كل شيء سيكون على ما يرام.. أعدك. سأصلح الأمور.. إنه أقل ما أفعله لأختي الصغيرة. سأذهب لأفتش عن برناردو.

- لن يصغي إليك.

- بل سيصغي. أنا من ورطك بهذا وأنا من سأصلح الأمور لك. إصعدي إلى غرفتك الآن، واغسلي وجهك ورتبي نفسك، وأنا واثقة إنه سيصعد إليك.. سأودعك الآن، فبعد انتهائي من برناردو سأسافر مع فيليب.. وسأتصل بك من مطار مدريد غداً. وتخبريني عندها كيف سارت الأمور..

وما أن أصبحت في غرفتها، حتى التقطت حقيبتها وفتحتها فوق السرير، وهي تكبح دموعها. وخلال دقائق كانت قد وضعت كل ثيابها في الحقيبة، ولم يبق سوى بعض أدوات الزينة. أمّلتها ليز كثيراً

بالمعجزات.. ومن الأفضل أن تنتظر الحلم ليصبح حقيقة بدل انتظار حدوث المعجزة!

لن يستمع إلى ما ستقوله اليزابيت. لا.. سيظن أنها تختلق قصة كعادتها. ولن يصدق أي منهما بعد اليوم. ولن تستطيع لومه.

ومع أن الطقس بعد الظهر كان بعيداً عن الحرارة إلا أنها أحست بجو غرفتها خانق. وعلمت أنها قد تجن إذا بقيت هكذا تنتظر الباب ليفتح وترى برناردو وقد جاء إليها. ماذا لو لم يفعل؟ ماذا لو إنه ينتظر منها أن تذهب من هنا، فأسبوعها قد انتهى تقريباً، ولديها ما يكفيها من مواد وصور لتكمل المقالة..

ولكن.. ما هي بحاجة إليه الآن هو بعض الهواء النقي.. فرصة كي يصفوا فكرها.. ستذهب إلى إيفون قبل أن تنهي عملها. وفي الفناء نظرت إلى موقف سيارات الضيوف فوجدت سيارتين هناك مما يدل أن إيفون لا تزال مشغولة. ولم تجد أثراً لسيارة فيليب دومان.. هل غادرا القصر يا ترى؟ وأطبقت يد جليدية على قلبها.. فهذه ليست إشارة جيدة!

وبدت لها العرائش الذهبية الساق وقد تعرت من حمولتها الثمينة من عنب ناضج، مهجورة دون حياة ودون القطافين المليئين بالألوان يموجون بينها.

وقادتها خطواتها إلى البحيرة. وكانت المياه كأنها الملاءة الناعمة تحت السماء المغبرة. لقد بدا لها العالم كله مغبراً رمادياً في تلك اللحظات.. مثل مزاجها تماماً.

ووجدت أفكارها تسرح عائدة إلى تلك الأمسية النشطة التي تعرت فيها دون تفكير من ملابسها، وغمست جسدها العاري في ماء البحيرة. واستعادت ذكر لحظات الصدمة ساعة وجدها برناردو هكذا. وتذكرت

الحرية التي استغلها بعد ذلك بلحظات.. حرية كان يظن أنها تدعوه إليها عن قصد.. والأسوأ أنها أمور لم تفعل شيئاً لتوقفها.. لأن لمسته قد أشعلت فيها تياراً لم يشعله فيها رجل من قبل.

وسألها صوت عميق من خلفها:

ـ ماذا تخططين لأن تفعلي؟ هل ستغطسين دون شيء عليك سوى بشرتك من جديد؟ أم هل تفكرين بإغراق نفسك؟

وجمدت حيث تقف، وعاد تفكيرها إلى الحاضر، متساءلة هل هي تحلم؟ أهذا صوت برناردو؟ كم يبدو مختلفاً في هذه اللحظة... أين الغضب والبرودة فيه؟

ودون أن تستدير، استطاعت أن تجيبه بلهجة تماثل لهجته:

ـ حسناً، الطقس أبرد من أن أحاول الغطس ببشرتي فقط... ولو كنت أنوي إغراق نفسي.. أفضل أن أغرق في شيء ينسيني آلامي..

ـ نحن نحاول إبعاد الأجساد الغريبة عن مزرعتنا.

وأحست بذبذبات علمت أن عليها السيطرة عليها وقد اقترب منها الآن، وإلا لفقدت السيطرة على تفكيرها وقلبها على حد سواء. وقالت بأسف:

ـ ولكنني لا أشعر.. بأنني جسد.. غريب. لقد بدأت أحب هذا المكان.. المعصرة... الوادي.. الناس.

واختنقت كلماتها في حنجرتها. واستدارت لتواجهه، وهي مسرورة لتلاشي أنوار النهار التي كانت تخفي قسماته، وتخفف من قوة عينيه الخضراوين. وتنحنحت:

ـ برناردو.. أود أن أحصل على فرصة وداع إيفون وكارلوس شخصياً قبل أن أذهب.

وفي العتمة.. لمع شيء في ظلال عمق عينيه.

ـ لقد ذهبت إلى غرفتك قبل أن أجيء إلى هنا.. ورأيت أنك حزمت حقيبتك.

ـ أجل.. ولكنني لا أنوي المغادرة قبل الوداع.. للجميع. أرجوك برناردو، هذا كل ما أطلبه. ولن أخبر أحد أية قصة. إذا كنت هذا ما تخشاه.

وظهر خيط من المرارة يغلف صوتها، وسألها:

ـ أنت لم تتمتعي كثيراً بإخفاء الأمور عني.. أليس كذلك؟

ـ لم أكن أعرفك جيداً يوم وصلت إلى هنا. وأعترف أنني كنت أفكر.. بالانتقام عندما وصلت. ما كان يجب أن أقبل هذه المهمة إطلاقاً.

وكأنه سيصدق ما تقول! ولماذا تزعج نفسها بالدفاع؟ إنه لن يغفر لها أبداً!

ـ برناردو.. أنا أكره خداع أي إنسان.. وخاصة أنت، بعد أن عرفتك و.. أحببتك. أردت أن أخبرك، وكنت أعلم أنك ستبعدني لو عرفت. ولم أكن أرغب في الابتعاد! ثم هناك الجريدة، لو أبعدتني لكنت مضطرة لأن أقول لرئيسي كل شيء عن اليزابيت.

ـ تعني إنهم لا يعرفون شيئاً عنها؟

وهزت رأسها:

ـ اليزابيت تحب الأضواء. وأنا لا أحبها.

ـ وهل كنت ستقولين لي بعد ظهر اليوم؟ هل كنت تحاولين أن تقولي لي عندما وصلت أختك؟

ـ نعم.. وأشعر بالخجل! لقد كنت مرتبكة. لقد كنت أصدق ما قالته

لي اليزابيت ومع ذلك. . مع ذلك عرفتك حقيقة. . .

ـ نعم. . وماذا بعد؟

ـ ووجدت أنك رجل طيب. . رجل له كرامته. وأضف إلى ذلك أنني. . أنا. . . أنت. . كان هناك. . .

ـ ذلك التجاوب الذي لا يمكن إنكاره بيننا؟

وصاحت دون وعي:

ـ أجل!. . اوه برناردو. . هذا أمر مريع! كنت منجذبة إليك، ومع ذلك. . . كنت لا أثق بك في نفس الوقت. . ! لقد كانت اليزابيت تقف بيننا دائماً!

واعترف بخشونة:

ـ وأنا كنت منجذباً لك. . ولكن كان هناك أوقات كنت أشك بك أيضاً.

ـ أعلم، ولا ألومك. . ولكن برناردو أستطيع تفسير ما حدث. .

ـ لست بحاجة إلى أي تفسير. . فأنا أعرف. فشقيقتك أجابت عن الكثير. . ولقد عوضت الآن عن الكثير. كان بإمكاني كسر رقبتها لما فعلته بك. . . لنا! أن تقول لك أنني طلبت الزواج منها؟ لا عجب أنك لم تستطيعي الثقة بي! كنت أعلم دائماً أن هناك شيء ما يقف بيننا ولكنني لم أتصور أبداً أن تكون شقيقتك!

وعضت على شفتها:

ـ برناردو. . أنت لم تقسو عليها. . أليس كذلك!

ـ لأجلك أنت. . لا. لم أقسو عليها.

ـ لا تظن السوء بها فهي لم تكن تدري أنني سألتقيك. لو أنني أخبرتها عن مهمتي هنا لكانت أخبرتني الحقيقة. . . ولما كنت جئت إلى هنا.

ـ إذن الحمد لله إنها لم تخبرك الحقيقة.

ومدت يدها لتلمس ذراعه:

ـ حياتها لم تكن سهلة يا برناردو. . لقد تركت المنزل وهي صغيرة جداً وحاولت العيش مع والدها، ولكنها لم تنجح، وانتهى بها الأمر لمعاركة الحياة وحيدة.

ـ أنت شقيقة مخلصة محبة يا أليكسندرا، وهي لا تستاهلك.

وهزت أليكسي رأسها وقد دمعت عيناها:

ـ أنا كل ما لديها من عائلة. . . لم تكن أبداً مقربة من أمنا. أو أبيها. برناردو ألا يمكنك أن تسامحها؟ و. . أنا أيضاً؟ أيمكن أن تثق بي بعد الآن؟

كانت تنظر إليه وهي تهمس وعيناها تحدقان في العتمة لتقرأ ما على وجهه، وتابعت الهمس:

ـ كل الأكاذيب والمراوغة، والأشياء الكريهة التي قمت بها. . .

ـ ربما أنني عرفت الآن ما كان وراءها. . ما علي سوى أن أتساءل كيف تمكنت من الأعجاب بي بالمرة.

ـ تعلقت بك لأنني عرفتك. . وحتى قبل هذا. . كل ما كان عليك هو أن تلمسني و. . .

واحمرّ وجهها خجلاً:

ـ أليكسندرا، أليكسي. . مهما كان أسمك. . تعالي إلى هنا.

وجذبها إلى ما بين ذراعيه.

ـ عندما نظرت إلي هكذا أول مرة أصبحت ألعوبة بين يديك!

وسمعت الحنان الممزوج بالمرح في صوته، وغمرها إحساس بعدم التصديق، وأحست بالدوار، فترنحت، ولولا وجودها بين ذراعيه لوقعت أرضاً. وسألته بصوت منخفض:

ـ ومن أصبح لعبة في يد الآخر؟ ثم بإمكانك مناداتي بما تشاء. . ودفنت وجهها في صدره تمتم بكلمات لم يسمعها منها من قبل ثم تابعت بصوت مرتفع قليلاً:

ـ طالما أنت تدعوني بأسم ما. وأكون بالجوار لأسمعك.

ـ اوه. . ستكوني بالجوار دون شك، يا أعز الناس. . وأعدك بهذا. وأنا بحاجة لمن يرعاني عندما تذهب إيڤون وكارلوس إلى منزلهما. في الواقع. . قد أحتاج إلى أكثر من زوجة. . فالقصر منزل كبير. . .

واتسعت عيناها. إنه لا يزال يريد الزواج منها؟

ـ ماذا تعني بأكثر من زوجة؟ هل تنوي إقامة «حريم»؟

ـ ليس «حريماً» بالضبط. . ولكنني كنت أفكر بسلالة. . . يا إلهي لو تعلمين كم أحبك وكم أحتاجك؟

ـ برناردو. . أحبك أيضاً.

ونظر إليها:

ـ أتعلمين. . أعتقد أنني مرتاح لأكتشافي أنك لست كاملة على كل الأحوال. فالعيش مع قديس أمر صعب. . وأنا أعشق الحياة مع إمرأة من لحم ودم طوال الوقت. وأنت من لحم ودم كما أظن؟ ولن تقولي لي أنك تخدعيني بهذا أيضاً، وأنك مجرد حلم، اختلاق من مخيلتي؟

ـ لحم ودم. .؟ هناك طريقة واحدة لمعرفة هذا. . ألا تجد المكان بارد هنا؟ هل لنا أن ندخل إلى القصر؟

ولمعت عيناه، وهي تندس أكثر بين ذراعيه، فقال:

ـ لنذهب إلى غرفتك لنعيد ثيابك كما كانت

ودون أن ينتظر منها الرد، رفعها عن قدميها وحملها بين ذراعيه القويتين واجتاز سكون البحيرة الفضية عبر صفوف كروم العنب باتجاه «الشاتو»

تاركين العرائش تهتز وتتهامس في الريح.

ومن فوقهما، بعد أن وصلا درجات سلم «الشاتو» كانت الغيوم السوداء تتفرق وشمس المغيب تطل من خلالها.